المسؤولية في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

أ.م.د.عبد الوهاب
إسماعيل الأعظمي
جامعة بغداد

The responsibility in the light of the Holly Qur'an

Subjective study

Asst. prof phd Abdul Wahab Ismael Al A’adhami

The Advancement of the responsibility is the duty of Islam towards every member of the community. In addition, if people neglect, they will be weak

What Islamic Nation suffered of miser, humiliation and dependence, were due to not completely responsible duty advancement.

If everyone was responsible as the Holly Quran ordered, then the community healed, because the responsibility guides the human activity and makes him in steady position and self-determination, and here we have to know that the responsibility is not limited in certain boundaries, but it's work area is the whole world, so let every one of us feel his responsibility.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الأمور كلها تصدر على مشيئته، والخلق والأمر كله له، والقلوب والألسنة كلها بيديه يقلبها كيف يشاء فتطيعه، ولا يعلم ما عنده غيره، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله، وأمرها فأطاعت أمره، وحدد عليها حدوداً فلم تعدو حدّه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القائل في محكم التنزيل﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ الأحزاب: ٧٢، والقائل سبحانه﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ الإسراء: ٣٦، والقائل سبحانه وهو يبين أنه سوف يسأل ويحاسب الجميع ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦ ﴾ الأعراف:٦، والقائل سبحانه ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤ ﴾ الزخرف: ٤٤. وأشهد أن محمداً رسول الله ρ أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة وكشف الله به الغمة القائل ρ (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ عن أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيتهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عن رعيتها، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته، ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)(١) القائل ρ في الحديث الذي رواه أبي برزة ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:عمره فيما أفناه؟ وعن عمله ما عمل به؟ وعن مال من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن شبابه فيما أبلاه)) (٢) وبعد فإن الله عز وجل عندما خلق الإنسان لم يخلقه عبثاً ولم يتركه هملاً وإنما خلقه لغاية ولحكمة، اجلها وجد على ظهر هذه

---

(١) صحيح البخاري: للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزيه البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي (٢٥٦هـ) ط: دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، برقم ٢٥٥٤.

(٢) سنن الترمذي:كتاب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، باب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم٢٤١٦، الطبعة الأولى، دار الأعلام ، الأردن–عمان.

الأرض هذه الغاية هي عبادة الله عز وجل قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ الذاريات: ٥٦، وهذه العبادة التي هي الغاية من وجود هذا الإنسان لا يمكن تحقيقها إلا إذا قام كل إنسان بمسؤوليته التي كلفه الله عز وجل بها كلٌّ على قدر عمله ومنصبه ووظيفته سواء كانت هذه المسئولية صغيرة أم كبيرة ولا يستطيع أي إنسان أن يتهرب من هذه المسؤولية لأن الله عز وجل لم يستثني أحد من تحمل المسؤولية، لأنه سوف يقف بين يدي الله عز وجل وسوف يسأله عن الصغيرة والكبيرة، قال تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤ ﴾ الصافات٢٤، وقد شدد الإسلام على تحمل المسؤولية ولم يدع منفذاً لأي إنسان يفكر من يتهرب من المسؤوليات التي ألقيت على عاتقه سواء كانت صغيرة أم كبيرة، ولذلك يقولρ وهو يحث على تحمل المسؤولية والالتزام بها من الحاكم إلى العبد (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ عن أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيتهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عن رعيتها، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته، ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) (١).

ولما لهذه المسؤولية من أهمية في حياة الأفراد والجماعات، وأهمية في حياة الأسرة والمجتمع والأمة وذلك لما يترتب على القيام بها من نجاح ورقي وتقدم للأسرة والمجتمع والأمة، وما يترتب على تركها من فشل وتخلف وتأخر ، فقد وضع الرسولρ في هذا الحديث الشريف الذي هو من جوامع الكلم، كل فرد من أفراد المسلمين حاكمين ومحكومين، ذكراناً وإناثاً، مخدومين وخادمين، أمام مسؤوليته المنطوية به، حسب منصبه ووظيفته.

فكل فرد مسلم يعتبر راعياً ومرعياً في وقت واحد، وعليه حقوق يجب أن يؤديها لأهله، وعليهم واجبات يجب ان تؤدى إليه.

وقد عمم النبي ρ في مطلع الحديث بقوله ((كلكم راع / وكلكم مسؤول عن رعيته)) وفي أخر بقوله ((ألا كلكم مسؤول عن رعيته)).

---

(١) سبق تخريجه ص٢.

وخص فيما بين ذلك:فذكر أعلى أصناف الناس في أول من ذكر، وأدناه في آخر من ذكر، وأوساطهم فيما بين ذلك، فالمقصود من الحديث استغراق كل أفراد المسلمين بذكر أعلاهم وأدناهم وأوسطهم.

والملاحظ على الأمة المسلمة اليوم إهمال وتقصير كبير من تحمل هذه المسؤولية، ويرى أن الأغلبية تهرب من هذه المسؤولية ويلقي باللوم على الآخرين، وينسى نفسه، بل وربما يقلد الكفار ويضرب بهم المثل أنهم القدوة في تحمل المسؤولية وفي العدل وفي الحرية، وفي إعطاء المرأة حقها وغير ذلك، ونسي أن هذا الموضوع قد ضمنه الإسلام وأكد عليه منذ بعثة الرسولρ ومروراً بعهد الخلفاء الراشدين وغيرهم الذين كانوا نبراساً وقدوة في تحمل المسؤولية على اختلاف أنواعها للعالم أجمع، ونسي أن الإسلام جعل كلَّ لحظة من لحظات المسلم تتجسد فيها المسؤولية بكل صورها، أفراداً ومجتمعات، هيئاتٍ ومؤسسات، شعوباً وحكومات ولهذا السبب ولأهمية هذا الموضوع قمت باختيار هذا البحث، وذلك من أجل أن أبين فيه بعض المسؤوليات التي يجب على الإنسان القيام بها كلٌّ على قدر المسؤولية المناطة به، ويشتمل هذا البحث على عدة مباحث، كل مبحث منه يشتمل على عدة مطالب ومسائل مفيدة، أرجو الله تعالى أن ينفعني وأخواني المسلمين بها، وهذه خطة البحث على النحو التالي:

المبحث الأول:- المسؤولية تعرفها وأدلتها من الكتاب والسنة

المطلب الأول:تعريف المسؤولية لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني:الأدلة الشرعية.

المطلب الثالث:الأدلة من السنة.

المطلب الرابع:مفهوم المسؤولية.

المبحث الثاني:-المسؤولية السياسية في الإسلام.

المطلب الأول:أهمية المسؤولية السياسية في الإسلام.

المطلب الثاني:المسؤولية الشرعية للقيادة الإسلامية.

المطلب الثالث:حقوق الإمام على الرعية.

المطلب الرابع:حقوق الرعية على الإمام.

المبحث الثالث:-المسؤولية الاجتماعية في الإسلام.

المطلب الأول:المسؤولية على الوالدين.

المطلب الثاني:المسؤولية على الأولاد.

المطلب الثالث:المسؤولية على الأقارب.

المطلب الرابع:المسؤولية على اليتيم.

المبحث الرابع:-مسؤولية الزوج على الزوجة.والزوجة على الزوج

المطلب الأول: مسؤولية الزوج على الزوجة.

المطلب الثاني:مسؤولية الزوجة على الزوج.

وصلى الله على سيد القادة محمد وعلى أله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

الباحث

أ.م.د.عبد الوهاب إسماعيل

الاعظمي

المبحث الأول

المسؤولية تعريفها أدلتها من الكتاب والسنة

المطلب الأول :- تعريف المسؤولية.

المسؤولية في اللغة من سأل:يسأل سؤلاً وسأله ومسألة وتسأل وسألة وقال أبو ذؤيب: ((وسألت أسأل وسلت اسل، والرجلان يتساءلان ويتسايلان، وجمع المسألة مسائل بالهمزة، فإذا حذفوا الهمزة قالوا مسلة.وتسألوا:سأل بعضهم بعضاً)). وفي التنزيل العزيز ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾النساء:١ وقرئ تسّاءلون به، فمن قرأ تسّاءلون فالأصل تتساءلون قلبت التاء سيناً لقرب هذه من هذه ثم أدغمت فيها، قال: (من قرأ تساءلون فأصلها أيضاً تتساءلون حذفت التاء الثانية كراهيةٌ، وعناه تطلبون حقوقك به).

ومنه قوله تعالى﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾ الصافات: ٢٤، قال الزجاج:سؤالهم سؤال توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم لأن الله جل ثناؤه عالم بأعمالهم، وقوله عز وجل﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ٣٩﴾الرحمن: ٣٩ أي لا يسأل ليعلم ذلك منه لأن الله قد علم أعمالهم، والسؤال ما سألته في التنزيل العزيز﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾طه: ٣٦، أي أعطيت أمنيتكم التي سألتها قُرئ بالهمز وغير الهمز، وأسألته سولته ومسألته أي قضيت حاجته[١]. ويقصد بالمسؤولية لغوياً (المسؤولية:ما يكون به الإنسان ملزماً ومطالباً بعمل يقوم به).

أما اصطلاحاً فهي (تعني تعهد المرؤوس والتزامه بتنفيذ أعمال، أو نشاطات معينة معهودة إليه بأقصى قدراته)، بينما عرفها الشافعي[٢] المسؤولية الاستعداد الفطري الذي جبل الله تعالى عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية من كلفه الله به من أمور تتعلق بدينه ودنياه، فإن وفى ما عليه من الرعاية حصل له الثواب، وإن كان غير ذلك حصل له العقاب[٣].

---

[١] لسان العرب: لمحمد بن علي بن أحمد الأنصاري، ابن منظور، (٣/١٣٣-١٣٤)، مادة(سأل)ط:دار إحياء التراث العربي/مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثالثة [بيروت-لبنان، ١٤٦هـ-١٩٨٦م].

(٢) هو محمد بن ادرسي بن هاشم ألمطلبي ولد عام ١٥٢هـ، وتوفي عام ٢٥٤هـ.

(٣) الرائد:لابن مسعود، ص٣٨، نسخة الكترونية.

أما تعريف المسؤولية في الإسلام فإنها تعني أن المسلم المكلف مسؤول عن كل شئ جعل الشرع له سلطاناً عليه، أو قدرةً على التصرف فيه بأي وجه من الوجوه، سواء أكانت مسؤولية شخصية فردية، أم مسؤولية متعددة جماعية.

فأما المسؤولية الشخصية فهي مسؤولية كل فرد عن نفسه وجوارحه وبدنه، وروحه وعقله، وعمله وعلمِه، عباداته ومعاملاته، وماله وعُمره، وأعمال قلبه وجوارحه، وهي مسؤولية لا يشاركه في حملها أحد غيره، فإن أحسن تحقق له الثواب، إن أساء باء بالإثم، وأما المسؤولية الجماعية فتتضمن أولا المسؤولية الكبرى في الإمامة العظمى، في تحكيم شرع الله في أرض الله، على عبادة الله، وكذا القيام بالمسؤولياتفي الوظائف العامة، عدلاً في الرعاية، وقسماً بالسوية، ومراقبةً لله وحده في كل قضية، وكذا الحفاظ على الأموال والممتلكات والمرافق العامة، فليست المسؤوليات غُنماً دون غرم، ولا زعماً دون دعم(١).

المطلب الثاني:- الأدلة الشرعية

لقد بين القرآن الكريم أن كل فرد مسؤول عما كلف به من أعمال ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ الحجر: ٩٢ – ٩٣، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: (أي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا.وفي البخاري وقال عدة من أهل العلم في قوله ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ الحجر عن لا إله إلا الله)(٢).

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ (٤٤) ﴾ الزخرف: ٤٤، قال القرطبي: (أي عن الشكر)، قال جريج: (رأي تسألون أنت ومن معك على ما أتاك)، وقيل: (تسألون عما عملتم فيه)(٣).

---

(١) خطبة للشيخ السيد يس، موقع المنبر الالكتروني.

(٢) الجامع لاحكام القرآن :للامام ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري القرطبي تفقه على مذهب الامام مالك واعتنى بتفسير القرآن الكريم توفي سنة(٦٧١هـ)، ٢٨٣٩/٥، ط:دار الفكر بيروت–لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢.

(١) المصدر نفسه (٤٥٠٣/٨).

قال تعالى ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ الإسراء: ٣٤، قال القرطبي في تفسيرها:(قال الزجاج كل ما أمر الله به، ونهى عنه من العهد)(١).

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ الإسراء: ٣٦، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية:(أي يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب فالفؤاد يسألأ عما افتكر فيه واعتقد، والسمع والبصر عما رأى، وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده)(٢).

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ الأنفال: ٢٧، قال القرطبي:(الأمانات جميع الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، وسميت أمانة لأنه يؤمن معها من منع الحق)(٣).

قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ الإسراء: ١٣، قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية:(ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق)، وقال ابن عباس:(طائره عمله وما قدر عليه من خير وشر، وهو ملازمه أينما كان).وقال مقاتل والكلبي:(خيره وشره، معه لا يفارقه حتى يحاسب به)وقال مجاهد:(عمله ورزقه)(٤).

ولقد وردت الأحاديث العديدة والتي حرص فيها رسول الله ρ على تربية الشعور بالمسؤولية العظمى ومن الأحاديث :-

- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ρ أنه قال:(ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته والرجل راعٍ عن أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيتهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عن رعيتها، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عن

---

(١) المصدر نفسه (٢٩٨٠/٥).

(٣) المصدر نفسه (٢٩٨٣/٥).

(٤) المصدر نفسه (٢٢٠٣/٤).

(٥) المصدر نفسه (٢٩٦٠/٥-٢٩٦١).

رعيته، ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)(١). وفي الحديث الشريف يبين رسول الأمة ρ أهمية المسؤولية، وأن كل ما كلف به الفرد الراعي من رعاية لمصالح رعيته يمثل مسؤولية سوف يحاسب عليها في الدنيا والآخرة.

- وعن أبي برزة الأسلميτ قال:(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع:عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن شبابه فيما أبلاه)(٢).
- وعن أبي ذر τ قال:(قلت :يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال:فضرب بيده على منكبي ثم قال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)(٣).
- عن عبد الرحمن بن سمره τ قال:قال النبيρ:(يا عبد الرحمن بن سمره لا تسأل الإمارة فإنك أن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها))(٤).

---

(١) صحيح البخاري: للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزيه البخاري، ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي (٢٥٦هـ)ط:دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، برقم ٢٥٥٤.

(٢) سنن الترمذي: كتاب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، باب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم٢٤١٦، الطبعة الأولى، دار الأعلام ، الأردن-عمان.

(٣) صحيح مسلم: للإمام الكبير المجود الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة (٢٠٤هـ) وتوفي (٢٦١هـ)، ك: الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، برقم(١٨٢٥)، ط:دار بان حزم، بيروت-لبنان.

(٤) صحيح مسلم:ك:الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، برقم(١٦٥٢).

المطلب الثالث: مفهوم المسؤولية

لقد حث الإسلام على تحمل المسؤولية وإنجازها بالشكل المطلوب، ذلك أن كل فرد مسلم سواء كان ذكراً أم أنثى مسؤولاً عما كلف برعايته وإدارته لمن يقعون تحت رعايته أو إشراقه، وأن يتقيد في الرعاية بإتباع مصالح الرعية متقيداً بأحكام الإسلام ومبادئه وملتزماً بأنظمته الضابطة له، (وذلك لأنه لا يمكن لأي فرد أو أسره أو جماعة مهما تم إعدادها في انضباطية الحياة ما الم تحدد المسؤوليات بأسلوب واضح، لأن الإنسان قد يضعف فيسطو على حقوق الآخرين ليحصل على أكثر من حقه، وإذا لم يكافأ المحسن ويعاقب المسئ، عمت السلبية والفوضى مناحي الحياة، ولذلك فإن الإسلام عنى بتحديد المسؤوليات فالإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام الله، ثم أمام الناس، عما يصدر عنه من أقوال وأعمال، بإرادته الحرة، من منطلق الشريعة الإسلامية المنظمة للحياة)(١).

ولكي نكون أكثر وضوحاً واظهر بياناً تقول إن الإنسان مسؤول وهو ضاحك وباك على السواء، ومسؤوليته هذه قد تقسو عندما تثقله أعباؤها، وقد ترق عندما لا يكاد المرء يشعر بها، غير انه ميال بأي حال إلى العناية بأقرب الناس إليه، والعمل على إفادتهم ونفعهم مهما برزت أنانيته وظهرت أثرته، ومن هنا كانت المسؤولية هي مقياس العظمة، وكان السابقون الأولون فيها هم المتطوعون لغيرهم، العاملون غلى خدمة إخوانهم وبني جنسهم، وكان أتفه الناس أولئك الذين يلهثون تحت مسؤولية أنفسهم وحدها وليس يشغلهم سواها، هكذا خلق الله وطبع الطبائع فجعل لكل نفس هواها ولكل موجود هدفه، ثم تنازع الناس البقاء، واختلفوا على العرض الفاني والمتاع الزائل، فاقتضت حكمة الله أن ينصب لهم ولياً من أنفسهم يرتضون لمقدراتهم أن تكون ملك يديه، فيجمع كلمتهم، ويقيم الأحكام فيهم، وذلك هو الإمام العادل أو الرئيس الصالح، وتلك هي الرعاية العظمى التي وصفها رسولنا الحكيم ρ بقوله:((ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))(٢).

---

(١) كتاب النبي المربى للدكتور أحمد رجب الأسمر، ط:دار الفرقان للنشر والتوزيع، العبدلي عمارة جوهرة القدس، الأردن-عمان، الطبعة الأولى ص٢٢٨ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، سبق تخريجه ص٩.

صدق رسول الله ρ، إن كل من كان تحت نظره وولاياته أسرة أو إخوة، شعب أو أمة مطالب بالعدل فيهم والقيام بمصالحهم فإن وفى حق الرعاية والنظر نال الحظ الأكبر من سلامة الدنيا ونعيم الآخرة، وإن أخال بالحقوق التي استودعه الله إياها واستأمنه رعايتها وحفظها كان من حق كل فرد من أفراد الرعية أن يطالبه بها.

فالحاكم وكل إليه شأن الأمة يدبر أمورها ويحفظ حقوقها، وهو مسئول عن كل شئ فيها وعن كل فرد منها، والدولة هي الأسرة الكبيرة وما حكامها وقادتها إلا رعاة مسؤولون عن سعادتها واستقرارها، فبقدر ما يشعر الحاكم بسؤوليته تجاه رعيته بقدر ما تتوضح له سبل الخدمة العامة التي تقضي منه أن يضحي براحته و أنانيته والكثير من وقته يؤديها على وجهها الأكمل، كما يجب أن تؤدي، وهكذا فهم المسؤولية الرعيل الأول من المسلمين الأولين، فهموها حثاً لهم على العناية بشؤون رعيتهم والاهتمام بها، تفانياً في سبيل إسعادهم وتوفير الراحة الطمأنينة لمجتمعهم..لأن المسؤولية في الإسلام أمانة، والحكم أمانة، والقضاء أمانة.

ولعل من أهم أمانات الحكم وجوب إسناد المهام الرئيسية والوظائف العامة إلى الأمناء الأقوياء والعلماء الأكفاء لا إلى الضعفاء أو الخونة أو الجهلاء.. يحدثنا القرآن الكريم عن لسان بنت شعيب قولها لأبيها﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦، ويقول أبو ذر:((قلت لرسول الله ρ: ألا تستعملني))؟ يعني تجعلي أميراً أو والياً على أحد الأمصار، فضرب رسول الله لي كتفي وقال لي:(يا أبا ذر، إنك رجل ضعيف وإنها أمانة يوم القيامة خزي ندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)(١).

ومن أمانات لحكم أيضاً في الإسلام عدم محاباة الأقوياء والأنصار والأنساب وتقديمهم على من هم أحق منهم مسؤولية وأجدر، ومن هذا القبيل ما رواه البخاري في صحيحه عن رسول اللهρ إنه قال:((إذا ضُيعت الأمانة فانتظروا الساعة.قيل:وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال:أن وسد الأمر لغير أهله))(٢).

---

(١) سبق تخريجه ص٩

(١) صحيح البخاري:ك:العلم، باب فضل العلم، برقم(٥٩).

وفي حديث آخر :(من استعمل رجلاً على عصابة من المسلمين وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين))(١).

إن الحكم تكليف لا تشريف، ومسؤولية وتضحية وإرهاق في النهار وهم في الليل، وإن معنى الحكم إقامة ميزان الحق ونشر لواء العدالة وبثَ روح المساواة، فعلى المسؤولين أن يفهموه هكذا..وإلا فإن الهوة السحيقة المخيفة ستظل قائمة فاغرة فاها بين الحكام والمحكوم، وإن العداء سيظل مستحكماً بين المواطن الراعي، ولا ينكر أحد حتى المكابر، إن نهضات الأمم وتقدم الشعوب لا يكون إلا على تحقيق الانسجام المنتج الفعال بين الشعب وحكامه، بين القادة والمواطنين، ومن هنا كان الخليفة أو الرئيس أو أي حاكم أو أي مسؤول، في شريعة الإسلام، ووكيل عن الأمة ولهذه الأمة حق محاسبته ومقاضاته، ومن ثم حق عزله إذا ثبتت خيانته أو تحققت جرائمه التي يرتكبها في أثناء حكمه، وليس هذا بدعاً في شريعة الإسلام، فجميع الأمم المتحضرة اليوم تشترع رضاه غير أن أفضلية الإسلام على ما عداه كونه سبق الزمان.وفي ما يتعلق محاكمة الرؤساء بأربعة عشر قرناً، ومن جولة خاطفة في القرآن الكريم نراه في مخاطباته الجماعية لم يكن يوجه شيئاً منها إلى الإمام أو الخليفة، بل كان يوجهه مباشرة إلى أفراد الأمة معتبراً بالأخص المسؤول الأول خليفة كان أم رئيساً أم ملكاً، كسائر الأفراد عليه تطبيق المبادئ القرآنية مثلما يطبقها سواه، مثال ذلك ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ ﴾ التوبة: ١، قال عاهدتم، والخطاب لجماهير الأمة، ولم يقل عاهدت ويعني المسؤول الأول في الدولة، وحين يتحدث القرآن أيضاً عن الأسرة والأحوال الشخصية يخاطب المسلمين جميعاً، فيقول ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٢٩. كما نلاحظ خفتم، مخاطباً جميع المسلمين، ولم يقل خفت يا محمد، ويكون الخطاب للرسول وحده، هذا بعض من كل، وقليل من كثير من مسؤولية الرؤساء والحكام في الإسلام، أما مسؤولية علمائه فليست أقل شأناً منها عند أمرائه، فهم توأم الأمراء في المسؤولية.

---

(٢) رواه الحاكم نقلاً من كتاب النبي المربى ص٣٨٩.

أولى مسؤوليات العلماء تتعلق بالدعوة إلى الله الواحد الأحد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توصلاً إلى أعمار البلاد وإسعاد العباد، وترسيخ قواعد العدالة والأمن، وضبط العلاقات الإنسانية العامة في إطار من الخير المطلق والنفع العام.

فحمل الإسلام، ونشره بين الناس هو أمر لازم على المسلمين طريق الوجوب، يدل عليه الأمر الرباني الظاهر في قوله تعالى﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾ آل عمران: ١٠٤

المهمة الحقيقة لهؤلاء الدعاة التي تنتظر التنفيذ منذ زمن بعيد هي (صناعة المستقبل الإسلامي)، وتقويم الإسلام بالفعل.لعالم الغد كنموذج حياة، فضلى نظام أمثل، فخدمة هذا الدين لم يعد من الجائز الاقتصار فيها على عرض صورة لماضية للذكرى فحسب، بل من الواجب عرضه للتطبيق بغية إنقاذ الحياة الإنسانية.فالدعاة هم مفاتيح النجاة للأمة، وعليهم يبنى مجدها، ويعلمهم يظهر تفوقها تبدو محاسنها.ولكن من هم هؤلاء الدعاة الذين نرجو تحقيق ذلك عن طريقهم وبقدراتهم؟

نحن اليوم في أحرج الأوقات، فليس أمامنا إلا حركة وإمكانات، لشعب أصيل تمسك بعقيدته، ويعتصم بدينه، ولا بد لتحقيق هذه الحركة وتلك الإمكانات، من إيجاد العالم الناضج المتسامح، كي تنشأ عن طريقه دعوة جادة قوية، لتصلح هذه الأمة على ما صلح عليها أولها، ولاسيما أنه لم يضع من أركان العلم الإسلامي، فالقرآن الكريم والحديث الشريف ما برحا ولن يبرحا، والفقه المفضل التاريخ المبسوط كل ذلك مائل معروف، وليس على الدعاة من رجال الدين إلا أن يستقوا بتلك الدلاء ويشربوا من هذه الموارد.

إن المطلوب في العصر الحاضر شيء آخر، شئ يواجه الفكر الحديث المتطور، المطلوب وعاظ مسلحون بسلاح العصر، محيطون بقضاياه، متعمقون بالاتجاهات الفكرية الحديثة، التي هي في الواقع(جاهلية حديثة)، قادرون على الخوض في اهتمامات الجيل المثقف، على عرض الإسلام كبديل فطري وعقلي لها، ومتمكنون بالوقت نفسه.من علم البحث والمناظرة، ومن ثم إعداد قوافل من الدعاة الاختصاصيين وإيفادهم نحو المشارق والمغارب لبذر بذور الإسلام الصافي ونشر أغراسه في جميع البقاع والأصقاع، وإذا هم لم يفعلوا، لا قدر الله فإن الله لا

يخلف وعده، ولن يتخلى عن دينه الذي ارتضاه لعباده، بل سيقيض لهذا الدين أُناساً ليسوا من أهله ويخرجونه من وقعته ويعتنقونه ويعتزون به، ويطرحونه كحل على العالم في واجهة القرن الحادي والعشرون كبديل أفضل للحياة ويبطلون بعد طره بهرجه وزيف ما عداه من لمعروضات الأخرى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ محمد:٣٨، عندئذ يغدو الإسلام، حقاً وصدقاً، دين المستقبل، دين العالم الحر السعيد، دين المدنية القادمة ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ الإسراء: ٥١ . (١)

المبحث الثاني
أهمية المسؤولية السياسية في الإسلام .
المطلب الأول :- أهمية المسؤولية السياسية في الإسلام

إن للمسؤولية السياسية أهمية كبيرة على حياة الفرد والمجتمع بل وعلى حياة الأمة، وذلك لما يترتب على صلاحها من صلاح الفرد والمجتمع والأمة في دينها ودنياها سواء بالجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو التربوي وغير ذلك من الجوانب الأخرى، وما يترتب على فسادها من فساد للفرد والمجتمع والأمة في دينها ودنيها سواء بالجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو التربوي وغير ذلك من الجوانب الأخرى، ولعل أول من يقف على رأس هرم هذه المسؤولية هو الحاكم أو الإمام الذي يقود هذه الأمة إما إلى ما يصلحها ويجعلها في مقدمة الأمم في كل الجوانب والى ما يفسدها ويجعلها في مؤخرة الأمم في كل الجوانب، ولذلك فان الإمام في الشرع يطلق على من يقتدي به كإمام الجماعة في صلاتهم، ومعلم الخير وفاعله، والداعي اليه.

كما قال تعالى عن المؤمنين......

وكخليفة المسلمين، وهو أميرهم العام الذي يدينون له كلهم بالولاء والطاعة، ما حكم فيهم بشرع الله، وهذا هو المقصود من الحديث، وخليفة المسلمين هو أعلى

---

(١) نقلاً عن مقالة د/مصطفى الرافعي حقوق الطبع محفوظة للبلاغ.

رعاتهم ومسئوليته أعظم مسؤولية، لتعلق حقوق كل الرعية به، ولهذا استحق التقديم في الحديث، ويشبه العلماء إمام المسلمين معهم بالقلب مع سائر الأعضاء في الأهمية، وقد قال الرسولρ في القلب:(ألا أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))(١) والامر كذلك بالنسبة للإمام، فان غالب رعيته يقتفون أثره ويحاولون محاكاته، إن استطاعوا في الملبس والمسكن والمركب والعدل والظلم والتواضع والتكبر ، والكرم والبخل، والإيثار والإسراف، والحزم والضبط، والفوضى والاضطراب، ففي صلاحه صلاح رعيته، وفي فساده فسادهم، لان زمامهم بيده، ومصالحهم تحت تصرفه، يقودهم إلى ما تهواه نفسه، ويميل إليه طبعه كما أن القلب مصدر لصلاح الأعضاء وفسادها لسيطرته عليها.

وإذ أردنا الكلام عن مسؤولية قيادة الأمة تعود بنا الذاكرة إلى مواقف الأوائل من قادة السلف الصالح، والذي أدركوا كم هي ثقيلة تلكم المسؤولية، والتي أشار إليها الرسول ρ بقوله: ((إنها لأمانة... وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من حملها بحق)).

ولا اعني بالقيادة هنا القيادة الجماعية، أو الأجهزة القيادية، وإنما عنيت بها شخص القائد، المسؤول الأول الذي يتحمل وحدة مسؤولية الموقف والقرار والمتابعة والتنفيذ والإمساك بالصف.

ما أود أن أؤكد عليه هنا، هو أن مسؤولية القائد الشرعية مسؤولية عظمى لا تماثلها مسؤولية أخرى..ومن أجل ذلك كان الموقف النبوي من هذه المسؤولية صارماً جازماً، حيث قالρ إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع))(٢)

إن استشعار القائد لهذه المسؤولية تجعله يعيش هم من يقود ويسوس ويرعى... فهو يحرص على العدل بين الرعية، وينأى عن مظنات الظلم أو الانحياز ، فالجميع أمامه سواء، وإنما يتفاضلون بقدر ما يتفاضلون بالتقوى والبذل والتضحية، وديدنه في ذلك وقدوته أئمة الهدى الأولون من أمثال أبي بكر وعمر،

---

(١) صحيح البخاري:كتاب الإيمان من إستبرا لدينه، رقم٢٥.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للحافظ عبد العظيم عبد القوي المنذري، دار ابن رجب الطبعة الأولى المنصورة جمال الدين الأفغاني رقم(٢٩٣٢).

أبو بكر الصديق(١) الذي قال يوم ولى الخلافة:(القوي فيكم ضعيف عندي حتى اخذ منه الحق، والضعيف فيكم قوي عندي حتى اخذ له الحق)(٢).

في ضوء ذلك لم يعد غريباً ما سجله الفاروق عمر(٣)τ حيث قال فور انعقاد تبعات الخلافة عليه(ليتني كنت هذه التبنة، ياليتني لم أكن شيئاً، ليت أمي لم تلدني)(٤).

إن مدخل الفساد وباب الإفساد الأكبر، أن لا يهتم القائد بنوعية حاشيته والمقربين منه، وأن لا تكون لديه موازين شرعية في عملية الاختيار، وان يترخص في مساءلة هؤلاء ومحاسبتهم.

إن ما نفخر به ونعتز في تاريخنا الإسلامي المجيد تلكم المواقف (القدوة) التي سجلها القادة، حيال سقطات المسؤولين والإتباع وأفراد الحاشية القيادية وهو ما يجب أن يحتذي به..

ما أحوج القيادات الإسلامية إلى احتذاء مواقف كموقف المكلف بالجباية في عهد الرسول ε، والذي سمح لنفسه بقبول هدية قدمت إليه خلال عمله الوظيفي وقال:(هذه لكم، وهذه أهديت إلي)، حيث أنكر عليه القائد ε فعلته وقال: (أفلا قعد في بيت آبيه وأمه فنظر هل يهدي إليه أم لا)(٥).

وما أحوج القيادات إلى موقف كموقف الخليفة عمر حين عاقب واليه على مصر عمرو بن العاص بسبب اعتداء ابنه على فتى قبطي، حيث أعطى القبطي

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافه بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مره بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر التيمي القرشي، ولدτ لسنتين من ميلاد الرسولε وتوفي سنة ١٣هـ، نقلاً عن كتاب إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الخضري بك

(٢) البداية والنهاية نقلاً عن كتاب الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق شخصيته وعصره، د/علي محمد الصلابي، دار الإيمان الإسكندرية مصر ص١٨٠.

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رازح ابن عدي بن كعب بن لؤي ، ولد في السنة الثالثة عشر من ميلاد الرسولε وتوفي سنة ٢٣هـ.

(٤) تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، ولد سنة ٥٨٤٩-وتوفي٩٢١هـ، دار الفجر للتراث الأزهر القاهرة مصر الطبعة الثانية ص١٠٥.

(٥) صحيح البخاري:كتاب الإيمان، باب كيف كانت يمين النبيε رقم ٦٦٣٦.

عصاه وقال له(اضرب ابن الأكرمين) والتفت إلى ابن العاص قائلا: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)(١).

إن تقريب القائد لضعيفي الإيمان مهزوزي الالتزام طالما أنهم يوالونه ويؤيدونه، وإبعاده للأتقياء الأنقياء لأنهم يعارضونه ويصدقونه المشورة والنصح لهو دليل صارخ على فساد في شخصيته، وضعف في عقيدته، وزغل في طويته..

مطلوب من القائد أن يحرص على تقريب أهل المعرفة والدراية والورع من الذين عرفوا زمانهم واستقامت طريقتهم.. وستبقى الآية القرآنية ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾ القصص: ٢٦، القاعدة الفضلى والمثلى في اختيار الأتباع والأصحاب والمساعدين والمكلفين والموظفين في شتى الظروف والأحوال.

إن من نتائج سوء اختيار القائد لحاشيته انه سيناله نصيب من فسادهم، سواء فيما يشيرون عليه من سوء آراء وأفكار، أو فيما يمارسونه من جهالات.

كما سيؤدي ذلك لا محالة إلى بعد الصالحين المؤهلين عنه، تحاشيا لمن يمكن أن ينالهم منه أو من حاشيته سوء! لكم هي مسؤولية القائد الشرعية كبيرة، ظاهرة انفضاض المقربين والأتباع من خوله، في عهده، ثم هو لا يبالي ولا يأبه، ولا يسارع إلى دراسة المشكلة وبالتالي إلى معالجتها، قبل أن تستفحل وتأتي على الصف كله!

ولكم هي اللفتة القرآنية معبرة وصارخة التي تشير إلى صفة من صفات الرسول ε من خلال قوله تعالى ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ التوبة: ١٢٨. إنه حرص القائد على جنده، من أن ينالهم سوء أو تنزل بهم نازلة، فهو يتعهدهم بالرحمة ويأخذهم بالرأفة ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ آل عمران: ١٥٩

---

[1] فقه النصر والتمكين للدكتور/علي محمد محمد الصلابي، دار الإيمان للطبع والنشر الإسكندرية ص٥٦٣، نقلاً من كتاب مصر والمغرب عبد الحكيم ص٢٢٥/٢٢٦.

أين هؤلاء القادة الذين تبلد حسهم ومات شعورهم وتعطل مؤشر الإحساس بالمسؤولية لديهم من أولئك الذين كانوا يخافون من أن يسالوا عن ناقة تعثرت في العراق، كما كان حال عمر τ حيث قال:(والله لو عثرت ناقة في العراق لكان الخطاب مسؤولا عنه).

إنها كارثة قيادية ومأساة أن لا يهتم أو نتساءل عمن غادرنا، لم غادرنا، وعمن انقطع عنا لم نقطع هنا؟ وعمن خسرناه وافتقدناه لم حصل معه ذلك(١).

ومعلوم أن للإمام حقوقا على رعيته، وللرعية حقوقا لإمامهم وهذا أمر مهم إذا لا تصلح ولا تستقيم الحياة إلا إذا أدى كل من الإمام والرعية أواجب الذي عليه على أكمل وجه.وسنذكر فيما يلي :-

---

(١) نقلاً من حلقات الداعية فتحي يكن، موقع الدكتور فتحي يكن.

المطلب الثاني:- حقوق الإمام على رعيته.

أ- طاعته في غير معصية الله.

كما قال الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩. وقال النبي ε: (على المرء المسلم، السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة) متفق عليه من حديث ابن عمرو (رضي الله عنهما)(١).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ε:(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك)(٢).

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدا، والذي يتضح من الجميع انه يجب على الرعية طاعة إمامها فيما تحب وتكره، ما لم يأمرها بمعصية الله، فان أمرها بها وجب عليها أن ترفض طاعته لأنها إنما تطيعه، رغبة في رضى الله عنها، ورهبة من غضبه عليها، فإذا أمرها الإمام بما يسخط الله فقد سلك غير سبيله، وطلب ما لاحق له فيه، وقد بالغ الكثير في توضيح هذا الأمر حتى أنهم جعلوا شيء من القداسة على الحكام فلا يحق لأحد أن ينقدهم أو يتكلم، حتى أن كان الناقد على حقٍ ويطالب بحقوقه لأنه بهذا يكون قد خرج عن الطاعة وعصى ولي الأمر الذي معصيته من معصية الله ومثل هؤلاء كمثل الذي يجتزي النصوص فيقرأ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ﴾ الماعون: ٤ ويقف ولا يكمل الباقي فيقرأ، كما قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾النساء: ٥٩، ويقف ولا يربطها بما قبلها وهي الآية التي توضح شرط هذه الطاعة الواجبة، وهذا الشرط هو أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾النساء: ٥٨.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب لإمارة ، باب السمع والطاعة مالم تكن معصية، رقم٧١٤٤.

[٢] صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب الوجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم ١٨٣٦.

هذا هو شرط الطاعة كما بينه القرآن الكريم، وهكذا صار الغلو في تعظيم السلطان إلى ما صار إليه حيث أنهم أضفوا شيئا من القداسة عليه، وتهويل شانه، مما لم يكن معهوداً في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانت تعاملهم الأمة على أنهم وكلاء عنها وأفراد منها، لا يمتازون عنها بأي مزية إلا حق الطاعة في طاعة الله ورسوله، وقد شاع هذا الغلو في عهد بني أمية في الشام، حتى قيل أن طاعة الخلفاء جائزة في معصية الله ، وان الله يغفر لهم مهما فعلوا ويتجاوز عن سيئاتهم...الخ(١).

ولهذا قال الرسولε: (أيها الناس اتقوا الله واسموا وأطيعوا، وان تأمر عليكم عبد حبشي ما أقام لكم كتاب الله)فاشترط السمع والطاعة عند أقمة الكتاب.قال شيخ الإسلام: (الكتاب والعدل متلازمان والكتاب هو المبين للشرع، فالشرع هو العدل، والعدل هو الشرع، ومن حكم بالعدل فقد حكم بالشرع)(٢).

وكان عمر إذا استعمل رجلاً كتب في عهده (أن اسمعوا وأطيعوا ما عدل فيكم)(٣)، وكتب إلى أهل الكوفة (من ظلمه أميره فلا أمرة له عليه دوني، فكان الرجل يأتي للمغيرة بن شعبة أمير الكوفة فيقول إما أن تنصفني من نفسكم وإلا فلا أمرة لك علي)(٤)، لقد غابت المفاهيم التي تمثل مبادئ الخطاب السياسي الشرعي المنزل، وشاع مفهوم(اسمع وأطع، وان اخذ مالك، وضرب ظهرك)(٥) وحمل ها اللفظ مالا يحتمل، بل صار أصلا من أصول الاعتقاد، بل هو السنة والإجماع ومن خالفه رمى بالابتداع؟ وبهذا المفهوم اكتملت حلقتا البطان، وفتح الطريق على

---

(١) من كتاب الحرية والطوفان صـ١٧٦، د.حاكم المطيري العاربية للطباعة والنشر- بيروت-لبنان، نقلاً عن كتاب منهاج السنة/١ ٢٣٢

(٢) نفس المرجع ص .١٨٠ نقلاً عن مجموع الفتاوى ٣٦٦/٢٥

(٣) نفس المرجع ص .١٨٠ نقلاً عن السنة للخلال بإسناد صحيح صـ١١٢

(٤) نفس المرجع ص .١٨٠ نقلاً عن السنة للخلال بإسناد صحيح صـ١١٨

(٥) هذا الحديث جزء من حديث حذيفة بن اليمان في الفتن، وقد رواه الناس عنه ليس فيه هذا اللفظ الا في رواية ابي سلام الحبشي في صحيح مسلم وقد استدركه عليه الدار قطني في الالزامات، قال: هذا عندي مرسل ابو سلام لم يسمع من حذيفة، وقال المحقق مقبل بن هادي في الحاشية (هذه الزيادة= =ضعيفة لأنها من طريق منقعة) وقد قال الالباني عن هذه الزاوية في السلسلة الصحيح (اسناد ضعيف) نقلا من نفس المرجع الهامش صـ١٨١.

مصراعيه للاستبداد السياسي، والظلم وتعطيل الحدود والحقوق، وراج هذا الخطاب الجديد المسؤول بين أهل السنة سواء أكانوا من علماء أهل الحديث أم المتكلمين، فلم ينقض القرن الرابع حتى ادعي الإجماع على هذا المفهوم الجديد، ورمي من خالفه بالابتداع دون تقديم مفهوم صحيح كيف يكون أصلاً من أصول السنة ما لم يسمع به الزبير وطلحة، وهما من العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الإسلام؟ وكيف يخفى هذا الأصل عن عائشة أم المؤمنين وأفقه نساء العالمين؟ وكيف لا يعرفه الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر ؟ وأين أهل المدينة من أبناء الصحابة الذين اجمعوا على الخروج على يزيد عن هذا الأصل؟ وكيف يكون الأمر واجباً وحقاً في القرن الأول الهجري ونصف القرن الثاني ثم يصبح محرماً وبدعةً في القرن الثالث؟ !.

لقد فرض الواقع مفاهيمه على أهل هذا العصر والى عصرنا هذا، حتى إذا خرج شعب من الشعوب من تحت وطأة الطغاة والمستبدين وظلمهم من اجل أن يطالبوا بحقوقهم وبرفع الظلم والاستبداد عنهم، إذا ببعض الذين ينسبون أنفسهم إلى العلم يرمونهم بالمبتدعين والخارجين والعاصين لله ورسوله:لأنهم قالوا كلمة الحق مستدلين بهذه الجزئية من الحديث(اسمع وأطع أن اخذ مالك وضرب ظهرك) على ما فيها من أقوال العلماء في تضعيفها(¹).

ب- النصح والإرشاد له:-

بذل النصيحة له، بتوجيه إلى الخير، وتشجيعه عليه، وتقويمه أن عدل عنه وذلك بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، بالتي هي أحسن بأن يذكروه بحقوق الله عليه، ثم بحقوق رعيته حيث اخذ منهم البيعة على الطاعة في غير معصية ، واخذوا منه العهد بالقيام بشريعة الله حتى يكون دائماً في حذر من الوقوع فيما يعود عليه وعلى رعيته بشرٍ في دينهم ودنياهم، ولا يقوم بهذه المهمة إلا العلماء المخلصون الذين يبذلون جهدهم وحياتهم خدمة لهذا الدين العلماء الذين ينصحون وينقدون ويوجهون الحكام الوجهة الصحيحة دون محاباة أو مجاملة على حساب الحق والدين، العلماء الربانين الذين لا يسعون وراء الدنيا والمال والسلطة ويتمسحون على أبواب السلاطين، من اجل حفنة من مال، ولا يخلو عصر من

(¹) من كتاب الحرية والطوفان صـ١٨١-١٨٣ بتصرف.

العصور من هؤلاء العلماء ولنا قدوة وأسوة في سلفنا الصالح كيف كانوا ينصحون ويوجهون حكامهم إلى ما فيه خير لهم ولرعيتهم(¹)، ومن هؤلاء العلماء الإمام الحسن البصري(²) وذلك عندما طلب عمر بن عبد العزيز(³) حين ولي الخلافة إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمة الله

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، قوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، والرفيق بها.الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكتنفها من أذى الحر والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، ويسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، وويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرهاً، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشاكيته.

الإمام العدل وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي كبيرهم.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين الله وبين عباده، ويسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكون يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله.

(¹) من متاب المسؤولية في الاسلام ص ١٣ بتصرف.

(²) هو سيد التابعين الحسن بن الحسن البصري الانصاري مولاهم زاهد فاضل ثقة من افصح الناس واجملهم توفي في ١١٠هـ وهو ابن ٨٨ سنة .

(³) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح ابو حفص خامس الخلفاء الراشدين كما قال عنه سفيان الثوري ولد بحلوان قرية بمصر سنة ٦٣ هـ وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب تولي الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي سنة ١٠١ هـ نقلا من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله انزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا من يليها؟

وأن الله انزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟

وأذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لكم منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك، ويسمونكم إلى مقرك فريداً وحيدا، فتزود له ما يصحب يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه.

واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، فالإسرار ظاهره، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله حكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين٠فانهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك، وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك.

ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين وان لم ابلغ بعظمتي ما بلغة أولو النهى من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحاً، فانزل كتابي إليك كمداوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليكم يا أمير المؤممين ورحمة الله وبركاته)(١).

وهكذا يكون العلماء الربين في قول كلمة الحق والنصح والتوجيه والإرشاد لحكامهم بالتي هي أحسن دون خوف اوجل منهم.

المطلب الثالث :- حقوق الرعية على الإمام

---

(١) نقلا من كتاب مع الله دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي – دار القلم بدمشق الطبعة السادسة ١٣٢٦هـ ٢٠٠٥ م صـ٤٦٩.

وكما أن للإمام حقوقاً على رعيته، فان للرعية حقوقاً عليه يجب أن يقوم بها خير قيام. وخلاصتها: أن يجتهد في تحصيل ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم في دينهم ودنياهم ويبتعد عن غشهم وخيانتهم... ولا يتحقق له ذلك إلا بأمور:-

الأمر الأول:- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب في المناصب.

أن يختار لوظائف الدولة أحسن من يظن فيهم القيام بها، خبرة وأمانة، وقدرة وإخلاصا والحكمة، ويحض كلاً منهم على اختيار الأصلح فالأصلح للوظائف التي تحت مسئوليته.

وهكذا يكون الاختيار ابتداءً إلى أصغر موظف في الدولة، حتى يقوم كل منهم بواجبه الذي أسند إليه على أتم وجه وأكمله[١]. يقول الشيخ محمد الغزالي[٢] في كتاب حقوق الإنسان (فمن معاني الأمانة والمسؤولية وضع كل شيء في المكان الجدير به، واللائق له، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها.

واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات ومسئولية ثابتة من وجوه كثيرة، فعن أبي ذر: قلت يا رسول الله.. ألا تستعملني؟ _أي توليني عملاً_فضرب بيده على منكبي، ثم قال: ((يا أبا ذر إنك ضعيف.وإنها يوم القيامة خزي وندامة. إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)) [٣]إن الكفاية العلمية أو العملية ليست لازمة لصلاح النفس فقد يكون الرجل رضي السيرة حسن الإيمان، ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجاً في وظيفة معينه.

ألا ترى إلى يوسف الصديق؟ إنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب، بل بحفظه وعلمه أيضا﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ يوسف: ٥٥.

---

(٢) كتاب المسؤولية في الاسلام ص١٦، بتصرف

(٣) هو (الفقيه – الداعية المجدد) الشيخ محمد الغزالي السقا ولد سنة ١٣٣٥ هـ-١٩١٧ م وتوفي سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦ م.

[١] صحيح مسلم ١٨٢٥ سبق تخريجه.

وأبو ذر لما طلب الولاية لم يره الرسول (ε)جلداً لها فحذره منها، والأمانة تقضي بأن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياماً بها، فإذا ملنا عنه إلى غيره له ولى أو رشوة أو قربة،فقد ارتكبنا لتنحيه،ولتولية العاجز،خيانة فادحة.

قال رسول الله(ε):((من لستعمل رجلاً على عصابة وفيه من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين))(١).وعن يزيد بن أبي سفيان قال:قال لي أبو بكر الصديق حين بعثني إلى الشام: يا يزيد إن لكم قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله (ε) : (من ولي أمر المسلمين شيئاً ، فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم)(٢). والأمة التي لا أمانة هي الأمة التي تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة وتطيش بأقدار الرجال والأكفاء لتهملهم وتقدم من دونهم، وقد أرشدت السنة إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذي سوف يقع في أخر الزمان:(جاء رجل يسال رسول الله، متى الساعة؟ قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، فقال: وكيف أضاعها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) (٣).

والمأخوذ على الحكام المستبدين أنهم يؤثرون بالوظائف أنصارهم، أو يخصون بها بعض العصبيات، ويفقدونها معالمها العامة.

والإسلام يرفض ذلك كله، فإذا باشر حاكم ما سلطات الوظيفية المخولة له فان يده ليست مطلقة يفعل ما يشاء ، بل هو يتصرف تحت رقابة الأمة التي يريد أن يطمئن إلى سلامة مصالحها، والى استقامة رسالتها في هذه الحياة، وذاك ما ندب الحاكم ليقوم به، واستحق طاعة العامة لأجله.

ولعمر بن الخطاب قول مأثور في هذا الصدد حيث قال: (أيما عامل لي ظلم أحدا وبلغني مظلمته فلم أغيرها فانا ظلمته....).وقد ظلم احد الولاة رجلاً من

---

(٢) رواه الحاكم نقلا من كتاب حقوق الانسان، للشخ محمد الغزالي، دار الدعوة الطبعة الخامسة (الاسكندرية – مصر)

(٣) المصدر السابق

(٤) صحيح البخاري كتاب العمل باب فضل العلم رقم ٥٩.

الرعية في أرضه فشكاه إلى عمر فبعث إليه يقول:(أنصف فلانا من نفسك وإلا فاقبل ... والسلام فرد الوالي الأرض إلى صاحبها) [1].

الأمر الثاني:- اختيار البطانة الصالحة منهم:-

أن يختار لمجالسته أهل التقوى والخشية والعلم والورع والنصح، ليعاونوه على فعل الخير ويحسنوه له، وينصحوه بالابتعاد عن مقارفة الأمور التي تعود عليه وعلى رعيته بالسوء، ويقبحوا له ذلك حتى يصبح من طبعه فعل النافع واجتناب ضار.

والنتائج المترتبة على اختيار جلساء الخير عظيمة جداً، وقد حث الرسول (ε) على ذلك وحذر من اتخاذ جلساء السوء، وأحرى الناس باختيار الجليس الصالح، واجتناب جليس السوء هم ولاة الأمر، لان خيرهم وشرهم يعمان كل الرعية، ولهذا قرنهم النبي(ε) بالأنبياء.

كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة:(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله)[2].

الأمر الثالث:- التصدى للفاسدين والسفهاء:-

أن يأخذ على أيدي السفهاء والفسقة، ويردعهم عن المعاصي والظلم والفوضى ومعارضة أهل الخير بالطرق المؤدية لذلك، كالقصاص والحدود والتعازير، فإن لم يجتهد في هذا الأمور الثلاثة، فقد غش رعيته واستحق وعيد الله الذي أجراه على لسان رسوله(ε).

حيث قال:(ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[3]روي عن معقل بن يسار(τ)

وهذه الأمور تعتبر أُسساً لحقوق الرعية على الإمام إذا توافرت كانت النتائج حسنة، في كل مجالات الحياة.

الأمر الرابع:- أن يحافظ على المال العام من أن تصل إليه يد العابثين:-

---

[1] كتاب حقوق الانسان للامام محمد الغزالي صـ٤٦-٥٠.

[2] صحيح البخاري، كتاب الامارة، باب بطانة الامام واهل مشورته رقم ٧١٩٨.

[3] المصدر نفسه، ك الامارة، باب من استرعى رعية فلم ينصح رقم ٧١٥٠.

وقد أقر هذا الأمر الإسلام من خلال الحث على المحافظة على المال العام، وحرص كل الحرص على أن تسلم الأموال إلى من يحافظ عليها، ويحرص عليها ولا يسلمها إلى العابثين والسفهاء قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ النساء: ٥.

وقد حرص الرسول(ε)كل الحرص على محاسبة عماله حتى على الشئ القليل حتى وان كانت هدية، فما أحوج حكام اليوم إلى احتذاء موقف كموقف المكلف بالجباية في عهد الرسول(ε)، والذي سمح لنفسه بقبول هدية خلال عمله الوظيفي وقال:هذه لكم، وهذه أهديت إلي حيث أنكر عليه القائد فعلته وقال(أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يهدى إليه أم لا)(١).

ولأمير المؤمنين عمر بن الخطاب نظرات صارمة في حياطة الدين ورعاية أمته، والتزام منطق الورع فيما يتصل بالمال العام، إن من حقه لأنه رئيس الدولة ، وان يتقاضى راتباً من أموال المسلمين، أليس يكدح لهم، ويشتغل لمصلحتهم؟

لكنه أبى أن يأخذ من مال المسلمين شيئاً إلا أن يحتاج فيأخذ للضرورة، لا لأنه موظف، وساسته في ذلك حددها في تلك الكلمة(أنا في مال المسلمين كولي اليتيم إن استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فان أيسرت أكلت بالمعروف...) (٢).

لقد بدا الإسلام مسيره السياسي في عصر كانت الشعوب فيه مآكلة للحكام، ما هو الحال اليوم، فأراد أن يعرف العالمون وجهة نظر الإسلام في علاقة الشعوب بحكامها، وهي أن الحاكم أجير وحسب، وان من حدثته نفسه بأن المال أرث له عن أبائه، أو أن يده مطلقة التصرف فهو ضال يجب الضرب على يده(٣).

الأمر الخامس:- تحقيق مبدأ الشورى:-

إن تداول الرأي في الحوادث مارسته الشعوب منذ أقدم العصور، مارسه العرب والفرس والمصريون والهنود والرومان والصينيون، ومارسه الملوك والفراعنة، ولم يوجد شعب ولا أمة إلا مارسته في القديم والحديث.

---

(٢) المصدر نفسه، رقم ٦٦٣٦ سبق تخريجه.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ١١٣٠.

(١) حقوق الانسان للامام محمد الغزالي ص٤٧-٥٠

إن الشورى واجبة على الحكام في الشريعة الإسلامية وعلى هذا القول ذهب كثير من العلماء والفقهاء، فلا يحل للحاكم أن يتركها، وأن ينفرد برأيه دوم مشورة المسلمين، من أهل الشورى كما لا يحل للأمة الإسلامية أن تسكت على ذلك وأن تتركه ينفرد دونها، ويستبد بالأمر دون أن يشركها فيه، فإن اقضم على هذا الأمر فقد ارتكب منكراً، ينبغي عليه أن تنكره عليه.

فالحاكم المستبد آثم بتركه واجب الاستشارة، والأمة آثمة بتركها واجب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبوسع الأمة إذا كانت متماسكة على قلب رجل واحد عزله، وتحرير الأمة منه، ومن ظلمه واستبداده، قال ابن عطية(١): (والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لم يستشير أهل العلم والدين، فعزله واجب، هذا مالا خلاف عليه) (٢).

قال الجصاص(٣) الحنفي في تفسيره لأحكام القرآن معقباً على قوله تعالى ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ الشورى: ٣٨ وهذا يدل على أنا مأمورون بها(٤).ولقد ذهب إلى وجوب الشورى على الحاكم، جماهير العلماء من المحدثين واليكم البعض:-

قال الإمام حسن البناء: (ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق المراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه من الخير، وعليه أن يشاورها، وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، ولقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال:

---

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام بن عطية، يكنى ابا محمد، وهو من نسل زيد بن محارب وكان فقيها عالماً بالتفسير والاحكام والفقه والنحو واللغة توفي سنة ٥٤٦هـ، انظر الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، ص١٧٤، ص١٧٥ نقلا من كتاب فقه النصر والتمكين ص٤٩٥.

(٣) فقه النصر والتمكين للدكتور علي محمد الصلابي، دار الفجر خلف الجامع الازهر مصر الطبعة الاولى صـ٤٩٦، نقلا عن المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

(١) هو ابي بكر احمد بن علي الرازي كان مشهوراً بالزهد والورع تبحر في العلوم وتلقى على يديه خلق كثير توفي سنة ٣٧٠ هـ، الطبقات السنة في ترجمة الحنفية(٤٧٧/١-٤٨٠) نقلا من نفس المرجع ص٤٩٦.

(٢) نفس المرجع ٤٩٦ نقلا عن احكام القرآن للجصاص (٣٨٦/٣)

﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾آل عمران: واثني على المؤمنين خيرا فقال﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ الشورى: ٣٨، ونصت على ذلك سنة المصطفى(ε))[١].

وقال الأستاذ عبد الكريم زيدان حفظه الله(إن وكالة رئيس الدولة عن الأمة وكالة مقيدة، ومن قيودها أن يشاور الأمة، لان المشاورة ورد بها النص الشرعي، فلا تملك الأمة التنازل عنها لان سلطتها محدودة بحدود الشرع، فلا تستطيع أن تفوض وكيلها [رئيس الدولة] استعمال سلطانها إلا بهذا القيد[قيد الشورى]، سواء صرحت بهذا عند انتخابه، أو لم تصرح)[٢].

يقول سيد قطب: (لو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي ويسد مسد مزاولة الشورى، في اخطر الشئون لكان وجود محمد (ε) ومعه الوحي من الله سبحانه وتعالى كافياً لحرما الجماعة المسلمة يومها في حق الشورى! وبخاصة على ضوء النتائج المريرة التي صاحبتها في ظل الملابسات الخطيرة لنشأت الأمة المسلمة ولكن وجود محمد رسول الله(ε) ومعه الوحي الإلهي ووقوع تلك الإحداث ووجود تلك الملابسات، لم يلغى هذا الحق))[٣].

وهكذا أهتم الإسلام بهذا الجانب، وجعله من الضرورات التي يكون علماء الدين قاسم مشترك فيها، حتى لا يخرج المستشارون في تقرير السياسات المتنوعة عن حدود الشريعة، هذه إشارة موجزة عن أهمية الشورى، ومزاياها، وفائدتها بإقامة الدولة وتقويتها، وبناء المجتمع الإسلامي المنشود، والنهوض به نحو المعالي.

الأمر السادس:- تحقيق العدل:-

إن العدل هو الدعامة الرئيسة في إقامة المجتمع الإسلامي، والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم، ولا يعرف العدل، ولذلك أهتم الإسلام بتقرير هذه القاعدة وتأسيسها، وتدعيمها، فاكثر الحديث عنها في الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، مركز على أن الناس سواسية، ومتساوون أمام الشرع، إن إقامة لعدل بين الناس أفراداً، وجماعات، ودولاً، ليست من

---

[١] نفس المرجع ص ٤٩٦-٤٩٧ نقلا عن مجموعة الرسائل للأستاذ حسن البنا صـ٣٦١.

[٢] نفس المرجع ص .٤٩٩ نقلا عن الفرد والدولة في الشريعة الاسلامية ص٣٦-٣٧.

[٣] في ظلال القرآن لسيد قطب ابراهيم حسين شاذلي، ولد سنة ١٣٢٤هـ١٩٠٦م وتوفي سنة ١٣٨٦هـ١٩٦٦م، دار العلم للطباعة والنشر- جدة الطبعة الثانية عشرة -٥/٣١٦٠.

الأمور التطوعية التي تترك لمزاج الحاكم او الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي من أقدس الواجبات وأهمها ، ولقد أجتمعت الأمة على وجوب العدل، قال الفخر الرازي رحمه الله:(اجمعوا على ان من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل)(١). وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والاحاديث الشريفة، ومن هذه النصوص قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ النحل: ٩٠، وأمر الله بالفعل كما هو معلوم يقتضي وجوبه، قال تعالى﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾النساء: ٥٨، وقال تعالى﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ ﴾ الشورى: ١٥، يعني انني امرت بالعدل بينكم دون تحيز فليس من شاني التعصب لاحد اوضد احد وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل فانا نصير من كان الحق معه، وخصيم من كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لاي فرد كائناً من كان، ولس لأقاربي حقوق، وللغرباء عندي حقوق أخرى ولا للأكابر عندي ميزات لا يحصل عليها الاصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء، فالحق حق للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل، والفرض فرض على الكل، حتى انا نفسي لست مستثنى من سلطة القانون الالهي(٢). ثم ان ترك العدل يعد ظلماً ، والله سبحانه وتعالى حرم الظلموذم اهلة، وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة، والهلاك في الدنيا. إن من اهداف التمكين اقامة المجتمع الاسلامي التي تسود فيه قيم العدل والمساواة، ورفع الظلم بكافة اشكاله وانواعه، فاذا نظرنا الى تاريخ الدولة الاسلامية في زمن النبي(ع) والخلفاء الراشدين، ومن سار على نهجهم من التابعين، راينا صوراً مشرفة تدل على عظمة هذا الدين، وحب هذه الامة للعدل، فها هو (ع) يقيد اصحابه من نفسه في طعنة طعنها اياه بالقدح في بطنه اثناء تسويه الصف للصلاة، وروى ابن اسحاق انه (ع)((عدل صفوف اصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر

---

(١) المرجع السابق صـ٥٠٨ تفسير الرازي ١٤١/١٠

(٢) الخلافة والملك للشيخ ابو الاعلى المودودي ولد في حيدر اباد بالهند سنة ١٣٢١هـ١٩٠٣ م وتوفي سنة ١٣٩٩هـ١٩٧٩م دار القلم الكويت الطبعة الاولى

بسواد بن غزية، وهو مستقل من الصف فطعنه في بطنه بالقدح ، وقال:(استو يا سواد))فقال :يارسول الله اوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني، فكشف رسول الله (ε) عن بطنه وقال:استقد، قال:فاعتنقه فقبل بطنه، فقال:ما حملك على هذا ياسواد؟ قال: يارسول الله حضر ماترى، فاردت ان يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك، فدعا له النبي (ε) بالخير...))(١).وهذا عمر بن الخطاب يقيم العدل والقسط بين الناس، يحكم بالحق لرجل يهودي على مسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه، اخرج الامام مالك من طريق سعيد بن المسيب((ان عمر بن الخطاب(τ) اختصم اليه مسلم ويهودي، فرأى عمر ان الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي:والله لقد قضيت بالحق))(٢)، ومن اجل هذا الامر الخطير واهميته، كان لابد من اقامة القضاء المستقل في الدولة المسلمة بحيث لا يتعرض القضاة لأي ضغوط كانت، ويصبحون لهم الحرية في اصدار احكامهم العادلة، فيما يعرض عليهم من قضايا في حرية تامة، ولا تأخذهم في اقامة العدل لومة لائم، القوي والضعيف، حاكم ومحكوم، المسلم والذمي، الراعي والمرعي، الامير والفقير، ، كل امام القضاء سواء.وما اجمل ما قاله الشيخ ابن تيمية رحمه الله:(ان الله لينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة...بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال)(٣).

الأمر السابع:- تحقيق المساواة:-

يعد مبدأ المساواة احد المبادئ العامة التي اقرها الإسلام ، وهي من المبادئ التي تساهم في بناء المجتمع المسلم، ولقد اقر هذا المبدأ وسبق به تشريعات وقوانين العصر الحاضر، ومما ورد في القرآن تقرير مبدا المساواة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ الحجرات: ١٣، وقال (ε) ((يأيها الناس الا ان ربكم واحد، وان اباكم واحد، الا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على

---

(١) فقه النصر والتمكين ٥١١-٥١٢ نقلا من سيرة ابن هشام ١/٦٢٦تحقيق مصطفى السقا وزملائه.

(٢) الموطأ، كتاب الاقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق، رقم٢

(٣) السياسة الشرعية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص١٠، دار الكتب العربية بيروت سنة الطبع ١٣٨٦هـ١٩٦٦م لبنان.

اسود، ولا لأسود على احمر الا بالتقوى))(١)، ان الناس جميعاً في نظر الاسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم الأبيض والاسود، لقد الغى الاسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون او النسب او الطبقة والحكام والمحكومين كلهم في نظر الشرع سواء، وجاءت ممارسات المسلمين التطبيقية خير شاهد على ذلك، فهذا ابو بكر في اول خطبة له بعد ان تولى الخلافة يقول:(وليت عليكم ولست بخيركم، فان احسنت فاعينوني وان اسات فقوموني، القوي فيكم ضعيف حتى اخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى اخذله حقه)(٢)، وهذا عمر بن الخطاب(τ) يقول في خطبته: (اياها الناس من راى في اعوجاجاً فليقومه، فيقف رجل من وسط الناس فيقول:ياعمر لو راينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا، فيقول عمر:الحمد لله الذي جعل في امة محمد(ε) من يقوم اعوجاج عمر)(٣).

الامر الثامن:- تحقق الحرية:-

إن تحقيق الحرية العامة للإنسان من الامور الاساسية في حياته، فهي جزء لا يتجزا من تكوينه النفسي، وتركيبه السلوكي منذ ان وجد، ولكن الدنيا لن تعرف حرية بالنعنى الذي جاءت به رسالة الاسلام، فالحرية في الاسلام لا تحتاج الى أي تحديد من السلطة او اعتراف، ولا يحتاج المسلم للوصول الى حريته العامة الى اتخاذ أي اجراء، اذا كفل الاسلام حق المسلم في الحرية، فكانت احد مبادئ الحكم التي اقرها الاسلام، ولقد حرص رسول الله(ε) والخلفاء الراشدون من بعده، على تطبيق هذا المبدأ بمنح المسلمين وغيرهم حقهم في الحرية، وتربية الامة على ذلك.

ومن هذه الحريات: حرية النقد والحرية الشخصية:-

إن الدستور الإسلامي منح المسلمين الحرية السياسية اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حتى وان كان حاكماً او والياً، وقد كرس هذا المبدأ رسول الله(ε) والخلفاء الراشدون من بعده، فهذا عمر بن الخطاب جاء اليه رجل من اهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: (يا امير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال:عذت معاذا، قال:سابقت ابن عمرو بن العاص، فسبقته، فجعل يضربني بالصوت ويقول:انا ابن الاكرمين، فكتب عمر الى عمرو رضي الله عنهما، يامره

---

(١) فقه النصر والتمكين صد٥١٥نقلا من مسند الامام احمد(٤١١/٥).

(٢) فقه النصر والتمكين ص ٥١٦نقلا من كتاب البداية والنهاية لابن كثير (٢٤٨/٥)

(١) فقه النصر والتمكين ص٥١٧ نقلا من كتاب نظام الحكم في الاسلام، عارف خليل صد٢٧١.

بالقدوم ، ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر :اين المصري؟ خذ الصوت فاضربه، فجعل يضربه بالصوت، ويقول عمر :اضرب ابن الاكرمين، قال انس:فضرب، فوالله، لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا ان يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال يا امير المؤمنين، انما ابنه الذي ضربني، وقد استقيت منه، فقال عمر لعمرو:مذ كم تعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً، قال يا امير المؤمنين، لم اعلم، ولم يأتني)(١).

إن حرية النقد والتعبير تبنى مجتمعاً سليماً صالحاً للتقدم والتطور والازدهار، وتقضي على امراض النفاق والتزلف، وهي من اخطر الامراض التي تضعف المجتمع، وتجعله ينحدر في الضعف والهوان والضياع.

إن الإسلام احترم الإنسان وقدره، وأعطاه ما يضمن له حريته الشخصية، وقد كفل لكل فرد حق الأمن، فلا يجوز في نظر الشريعة حبس شخص إلا بسبب جريمة تستحق العقوبة، لان الأصل في هذه الحالات أن الإنسان برئ حتى تثبت ادانته(٢). ولذلك فان الأمة التي تبحث عن الحرية لابد إنها ستدفع الثمن وذلك لان هذه الكلمة تزعج المستبدين فلا بد أن تضحي، ولذلك يقول الإمام الغزالي:(الأمة التي لا تقدم للحريةإبطالاً يقتلون وهم سادة كرام، تقدم للعبودية رجالاً يشنقون وهم سفلةٌ لئام)(٣).

الأمر التاسع:- ان يتعامل بصدق مع رعيته:-

وقد كرس هذا المبدأ الاسلام وجعل له اهتمام خاص لما له من اهمية في علاقة الافراد فيما بينهم فكيف بعلاقة الشعوب مع حكامهم، وذلك لان الحاكم حين يكذب فان هذا الكذب يزعزع الثقة بينه وبين رعيته، وهذا يؤدي الى ضعف الامة ولنا في الخلفاء الراشدين اسوة في تكريس هذا المبدأ، وقد اعلن الصديق هذا كبدا اساسي تقوم عليه خطته في قيادة الامة فيقول:(الصدق امانة والكذب خيانة)وهذا لان الصدق بين الحاكم والامة هو اساس التعامل، وهذا المبدا السياسي له اثر هام في قوة الامة حيث ترسخ جذور الثقة بينهما وبين حكامها، انه خلق سياسي منطلق

---

(١) فتوح مصر والمغرب، لابن عبده الحكم(٢٢٥/٢٢٦)، نقلا عن كتاب فقه النصر والتمكين ص٥١٣.

(٢) فقه النصر والتمكين ص٥٢٤بتصرف

(٣) كتاب تأملا في الدين والحياة لشيخ محمد الغزالي، دار الدعوة للطبع والنشر الطبعة السادسة الإسكندرية مصر صـ٩

من دعوة الاسلام الى الصدق وقد حذر الرسول(ε) من الكذب بقوله: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولايزكيهم، ولاينظر اليهم، ولهم عذاب اليم، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر)(١).

فهذه الكلمات (الصدق أمانة)اكتست بالمعاني، فكان لها روحاً تروح بها وتغدو بين الناس، تلهب الحماس، وتصنع الامل، (والكذب خيانة) وهكذا يأبى ابو بكر الا ان يمس المعاني، فيسمي الاشياء باسمائها، فالحاكم الكذاب هو ذلك الوكيل الخائن الذي ياكل خبز الامة ثم يخدعها، فما اتعس حاكم يتعاطى الكذب ويسميه بغير اسمه، لقد نعته الصديق بالخيانة وانه عو امته الاول..وهل بعد الخيانة من عداوة؟ حقاً لازال الصديق يطل على الدنيا بموقفه هذا فيرفع اقواماً ويسقط اخرين!..وتظل صناعة الرجال ارقى فنون الحكم!اذا هم عدة رصيدها الذي تدافع به عن نفسها امام ملمات الايام، ولاشك ان من تامل كلمات ابي بكر الصديق تلك اصدقته الخبر بان الرجل كان رائداً في هذا الفن الرفيع، فقد كان يسير على النهج النبوي الكريم(٢).

إن شعوب العالم اليوم تحتاج إلى هذا المنهج الرباني في التعامل بين الحاكم والمحكوم لكي تقاوم اساليب تزوير الانتخابات وتلفيق التهم، واستخدام الاعلام وسيلة لترويج اتهامات باطلة لمن يعارضون الحكام او ينتقدونهم، ولابد من اشراف الامة على الحكام بالصدق والامانة من خلال مؤسستها التي تساعد على تقويم ومحاسبة الحكام اذا انحرفوا(٣)، فتمنعهم من سرقة ارادتها، وشرفها، وحريتها، واموالها.

الأمر العاشر:- توفير الأمن للرعية:-

توفير أسباب أمن الرعية الداخلي والخارجي، متمشياً مع القواعد الشرعية العامة، يحصل ذلك بأعداد رجال امن داخلي مدربين تدريباً كافياً، ليسهروا على امن البلاد وسلامتها بالوسائل التي تكفل المطلوب وإعداد الجيش الكافي المزود

---

(١) صحيح مسلم كتاب الايمان.

(٢) كتاب الانشراح ورفع الضيق بسيرة ابي بكر الصديق شخصيتع وعصره، د/علي محمد الصلابي ٨٠، نقلاً من كتاب ابو بكر رجل الدولة مجدي حمدي.

(٣) فقه الشورى والاستشارة نقلاً عن كتاب الانشراح ورفع الضيق، ص١٨٠.

بالأسلحة المستطاعة، الرادعة لصد أي هجوم متوقع من خارج البلاد، بل لغزو البلاد الكافرة لفتحها، واقامة دين الله فيها عند الاستطاعة.

امتثالا لأمر الله تعالى في كتابه ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠

والقوة المأمور بها هي التي ترهب العدو كما نصت على ذلك الآية الكريمة وهي في كل عصر بما يناسبه، لا القوة التي يستخدمها حكام اليوم لقمع الشعوب عندما تخرج مطالبة بحقوقها لا القوة التي لا عمل لها غير حماية كرسي الحاكم الذي يستبد بشعبه ويذقه ويلات الفقر والجوع وليس لها أي قدرة على صد أي عدوان خارجي كما قال القائل(أسد علي وفي الحروب نعامة)[١].

الامر الحادي عشر:- اتخاذ الاسباب التي توسع للرعية الحالة المعيشية والصحة البدنية:-

وهذه الامور تقضي تشجيع الحركة التجارية إيراداً وتصديراً، بايسر السبل واكثرها نفعاً، والحركة الصناعية والعلوم الكونية العامة والخاصة، لتستغني الرعية عن أعدائها، الذين قد يتحكمون فيهم بسبب حاجتهم الى ما عندهم.

وبالجملة فكل ما يجلب للرعية نفعاً أو يدافع عنها ضرراً في الدنيا والآخرة، فهو من حقوقها على الإمام ما دام يستطيع ذلك، فإذا قصر في شيء يقدر عليه فهو غاش لرعيته، مستحق للوعيد المتقدم الذكر.

ولا يتم أداء حق الراعي من قبل الرعية..وحق الرعية من قبل الراعي..إلا بالتعاون التام بينهم كل يقوم بواجبه[٢]...عملاً بقوله تعالى﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢.

---

[١] كتاب السمؤولية في الاسلام ص١٨-١٩، بتصرف.

[٢] كتاب السمؤولية في الاسلام ص١٨-١٩.

المبحث الثالث
المسؤولية الاجتماعية في الإسلام
المطلب الأول
المسؤولية على الوالدين

وقبل الكلام على حقوق الوالدين أحب أن أنبه على جواب سؤال قد يعن للقارئ.. وهو كيف يكون الوالدان من رعيه الولد مع إن العكس هو الصحيح حسب الظاهر؟

الجواب: لا غرابة في ذلك، فان الوالد قيد يكون كبير السن عاجزاً لا يقدر على القيام بمصالح نفسه فيقوم ولده بها، فيكون بذلك راعياً والوالد مرعياً...

وقد يكون الولد متعلماً عنده مؤهلات لتولي بعض المناصب الكبيرة في الدولة، كالخلافة والإمارة والقضاء وأشباهها، وليس كذلك الوالد فيكون الأب من جملة الرعية التي يتولى الوالد أمرها.

وعلى أي حال فان للوالدين على أولادهما حقوقاً عظيمة، تضمنها كثير بها من نصوص الشريعة الإسلامية من كتاب وسنة، وقرنت حقوقهما بحقوق الله في القرآن الكريم لاميتها...

كما قال تعالى ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦.

سبب الاعتناء بحقوق الوالدين:-

ولعل السبب في عناية الإسلام بحقوق الوالدين يتضح من الأمرين الآتيين:-

الأمر الأول:- إنهما السبب المحسوس المباشر في وجود الولد، ومن كان سبباً في وجودك فحقه عليك عظيم، ولذا نرى القرآن الكريم يجمع بين حق الله وحقهما كما مضى، ولما كان الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، وهو مصدر وجود المخلوق كان حقه مقدماً على كل احد.

الأمر الثاني:- ما يعانيانه من المشقات في القيام على مصالح أولادهما، من حمل ووضع وإرضاع من قبل الأم، ومن تربية وإنفاق وتنظيف وتمريض وإشفاق من قبلهما معاً، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ذلك، كما قال الله تعالى ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ

وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ لقمان: ١٤، وقال تعالى بعد أن آمر الولد بالإحسان إليهما ونهاه عن ادني ما يمكن أن يصدر عنه من عقوق لهما، ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ الإسراء: ٢٤.

وبالتأمل في الآيات القرآنية يظهر أن الوالدين يشتركان في تربية الولد الدينية والعقلية والجسمية، وان كان بعضهما ألصق ببعض هذه الأمور، ولكن الأم تختص بتحمل المشاق التي لا يشاركها فيها الأب، كالحمل والوضع والإرضاع...

كما قال تعالى في الآية المتقدمة ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ ﴾ لقمان: ١٤.

ومن هنا كان حق الأم أكد على الولد من حق الأب، وقد أوضحت ذلك السنة الصحيحة تمام الإيضاح..فقد سال بعض الصحابة النبي (ε): (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال:أمك، قال:ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال:أبوك)(١). من حديث أبي هريرة (τ).

شرك الوالدين لا يسقط حقهما:-

ومن عدل الشريعة الإسلامية الغراء، إنها تعطي صاحب الحق حقه ولو كان مشركاً يدعو إلى الشرك، ولا يجوز إسقاط حقه بسبب شركه..

كما قال تعالى على وجه العموم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ المائدة: ٨، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى الولد أن يقوم بحق والديه من الإحسان إليهما، والبر بهما، والإنفاق عليهما، ومصاحبتهما بالمعروف مع بقائهما على الشرك، ولا يجوز له أن يعصيهما إلا إذا أمراه بمعصية الله تعالى، فإذا أمراه بمعصية الله، فلا طاعة لهما عليه في ذلك، لان المقصود من طاعتهما الحصول على ثواب الله، وطاعتهما في المعصية يترتب عليهما عكس ذلك وهو العقاب.

وقد أوضحت الآيات القرآنية ذلك إيضاحاً تاماً قال تعالى﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب من احق الناس بحسن الصحبة، رقم٥٩٧١.

العنكبوت: ٨ وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان: ١٤-١٥.

وروى مسلم في صحيحة، أن هاتين الآتيتين من سورة لقمان نزلتا في حق سعد بن أبي وقاص عندما حلفت أمه وكانت مشركة ألا تكلمه ولا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بدينه، وقالت له:عزمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا أمرك بهذا، فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد فانزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ .

قد دلت السنة ان حق الوالدين آكد على ولدهما من الجهاد (إذا كان تطوعاً)، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء رجل النبي (ع) فاستأذنه في الجهاد فقال:احي والداك؟ قال:نعم.قال:ففيهما فجاهد)[1] من حديث ابن عمر.

ودلت قصة جريح وهي في الصحيحين أيضاً على أن الولد إذا دعته أمه، وهو يصلي (تطوعاً)وجب عليه إجابتها قبل أن يتم صلاته، عن أبي هريرة.

الأحاديث في ذلك كثيرة اكتفي منها بالحديث الأتي الدال على أن عقوقهما من اكبر الكبائر.. ففي الصحيحين عن النبي (ع) قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟ فقالوا: بلى. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور)[2].

ينبه على ان القرآن ذكر حقوقهما الواجبة مع حقوق الله، والسنة قرنت بين عصيانهما بعصيان الله، وكفى بذلك دلالة على وجوب البر والإحسان إليهما.

المطلب الثاني
المسؤولية على الأولاد

الأولاد اليوم أطفال مرؤوسين، وغداً آباء كبار رؤساء، وقد جرت سنة الله أن يسلم كل جيل أبناءه من يده قيادة عجلة الدنيا، في مدة لا تزيد عن مائة سنة في الغالب يرحل جيل ويخلفه آخر.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين ٢٥٤٩.

[2] المصدر نفسه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم٥٩٧٦.

وقد أراد الله تعالى من البشر الإصلاح في الأرض لا الفساد، أراد الإصلاح الشامل الذي يتناول الدنيا والدين..

من قام بما أراد الله منه نال حظه الوافر في الدنيا من راحة واطمئنان وتمكين وثناء حسن في حياته وبعد مماته، وفي الآخرة من رضي الله وثوابه الذي يضاعفه له جزاء ما قدم من إصلاح.

ومن فعل خلاف ذلك، فعمل الفساد وفتح أبواباً وبيلاً مواصلة إليه، فعليه وزر ما عمله هو وما عمله غيره من الفساد اقتداء به.

وكانت عاقبته شر عاقبة، عاجلاً بما ينال في الدنيا من قلق واضطراب وسوء معاملة بينه وبين الناس، وذكر سيء في حياته وبعد مماته، وآجلاً بما أعده الله له من عقاب أليم جزاء ما اكتسب من فساد وإفساد..

ولذلك فان كثير من الناس يودون أن يربو أبائهم تربية كفوءة قديرة متفوقة، ولكنهم يفتقدون الأسس التي يرتكزون عليها في تربيتهم لأبنائهم، وقد حرص الرسول(ε)على التأكد على أهم المرتكزات التي تقوم عليها تربية الآباء لأبنائهم، تربية إسلامية وهذه الأسس تشمل عدة مسائل منها(١):

المسألة الأولى: العناية بتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة في وقت الصغر.

فان الأمور التي يطبع عليها الصغير قلما يفارقها في كبره، فينبغي أن يمرن على الصدق والوفاء، وعلى الشجاعة والكرم، وإكرام الضيف والجار والشفقة على الضعيف، والاعتماد على النفس في جلب المعاش وغير ذلك من الصفات الحميدة.

كما ينبغي أن ينفر من أضداد تلك الصفات وأشباهها، ولا يتأتى هذا الأمر إلا إذا توفرت هذه الصفات الحميدة في الآباء وغيرهم من أهل البيت، فان الطفل يكتسب من أهل البيت صفاتهم التي يراهم يلازمونها، حسنة كانت أم سيئة، فيجب أن يكون الكبار قدوة للصغار في أعمال الخير، وان يحرص على ذلك كل الحرص، وذلك لان هناك من الآباء من يتلفظ أمام أبنائه بالألفاظ البذيئة، وهذا يجعل الابن يقتدي بوالده بتلك الألفاظ القبيحة، ويشجعه على ذلك، بل قد يصل به الحد إلى أن يناديه بألفاظ لا ترضي الله فيناديه من باب

---

(١) النبي المربي ص ١٩٦، بتصرف

المزح يا شيطان أو يا ملعون وغير ذلك الألفاظ التي تجعل الولد منحط بأخلاقه وقيمه وتصرفاته، ولا يعطي لأحد مكانة ولا قدرا(١).

المسألة الثانية :تمرينهم على أداء الشعائر التعبدية:

كالصلاة وما يتصل بها من وضوء ونحوه،والوقت الذي يؤمر فيه الصبي بالصلاة هو السابعة من عمره...(كما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لقمان: ١٧ وكان السلف الصالح يعلمون أبنائهم قيام الليل،فقد روى البخاري أن ابن عباس قام يصلي وراء النبي(ع)صلاة قيام الليل فقام عن شماله،فأقامه عن يمينه)(٢).

والطفل بطبيعته سيحاول تقليد أبيه وأمه في صلاتهما ووضوئهما قبل تلك السن،وسيرى الناس مع أبيه في المسجد يصلون باستمرار ،فيرتسم في نفسه أن هذا أمر لابد منه..وإذا تأملت حالة الطفل الذي يصطحبه أبوه مع المسجد،وجدته ينظر إلى أبيه عندما يصلي،ويحاول محاكاة أبيه في قيامه وركوعه وسجوده،فإذا بلغ العاشرة من عمره وأمر بالصلاة ولم يصل،عندئذ يؤدب بالضرب الخفيف حتى يصلي..

وهذا العمل الذي كلف الله الآباء القيام به في حق الأطفال،من أهم محاسن هذه الشريعة في المحافظة على مصالح الأطفال،وتمرينهم على الطاعة قبل أن يبلغوا السن التي يكون مكلفين فيها تكليف إيجاب،وهو احتياط عظيم جداً..

فإن الطفل إذا بدئ بتمرينه على الطاعة قبل سن الرشد،بأربع سنوات أو خمس،لا يأتي وقت تكليفه إلا وهو يعمل ما كلفه عن طواعية واختيار،ولا يفوت شيئاً مما يجب عليه،وهذه التربية تؤمل للنشئ الاستقامة والتفوق،وخلق الرجولة،وحكمه التصرف،وهي من أساسية واجبات الأسرة والمسلمة، والنبي (ص) يؤكد على اضطلاع الأبوين بهذه المهمة فيقول ((كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه،أو ينصرانه، أو يمجسانه))(٣).

المسألة الثالثة:- العناية بتعليم قراءة القرآن

وإذا تيسر تحفيظهم إياه فلا ينبغي أن يفرط في ذلك، وإذا لم يتيسر حفظ الجميع فما تيسر منه، مع تفهيمهم أن هذا القرآن كلام الله الذي نزله على رسوله(ع)، وحثهم على حبه واحترامه.

---

(١) المسؤولية في الاسلام صـ٤٧ بتصرف

(٢) من كتاب منهاج المؤمن للدكتور مصطفى مراد، صـ٣٧٨، دار الفجر للتراث خلف جامع الازهر الطبعة الثانية.

(٣) النبي المربي، لـاحمد رجب الاسمر، (صـ٢٠٠)

أن المطلوب من تعليمه وقراءته وحفظه وتعليمه، هو العمل بأوامره واجتناب نواهيه، وان يكون هو المرجع والمنهج الذي تبنى عليه حياتهم.

وانه هو الحق وما خالفه هو الباطل لا يجوز العمل به، حتى يكون القرآن معظماً في نفوسهم ومنهجهم وأمامهم في اعتقادهم، وسلوكهم، وشريعتهم، ونظامهم..

فان شباب المسلمين لم يتركوا تعاليم دينهم وان يبتعدوا عنها، إلا بعد أن ذهب تعظيم هذا الكتاب من نفوسهم، إذ هجروه إلى غيره من الكتب التي يشكك أغلبها في أحكامه العادلة وأخباره الصادقة.

ويجب أن يوجهوا بعد كتاب الله إلى سنة رسوله (ع) الصحيحة، وأن يختار لهم في صغرهم بعض الأحاديث التي تشمل على الأخلاق الحسنة والدعوة إليها، والتنفير من أضدادها حتى ينشئوا محبين للخير، متصفين به، كارهين للشر، مبتعدين عنه[1].

المسالة الرابعة:- أن يهتم الوالد بتعليم ابنه بعض الحِرف:-

على الوالد أن يهتم بتعليم ابنه بعض الحِرف التي تكون سبباً لطرق كسبه كالتجارة والصناعة والزراعة وغيرها، حتى يكون معتمداً في كسبه وأنفاقه على ربه ثم على عمل يده، ولا يكون عالة على المجتمع يتكفف الناس..

ولنا في أنبياء الله عليهم السلام أسوة حسنة، فقد كان بعضهم نجاراً، كما صنع نوح عليه السلام السفينة التي كانت السبب المحسوس في نجاته ونجاة قومه.وكان زكريا عليه السلام نجاراً، وكان داود عليه السلام يصنع الدروع، كما قال عنه﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ: ١٠، ولقد فضل الرسول (ع) للرجل أن يجمع الحطب ويحمله على ظهره ويبيعه وينفق على نفسه، ليستغني عن الناس ويتصدق منه، فضل له ذلك على تكفف الناس وسؤالهم.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة (ت) قال: سمعت رسول الله (ع) يقول: ((لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس، خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه))[2].

---

[1] موقع اسلام اون لاين الالكتروني، بتصرف.

[2] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس رقم ١٠٤٢.

والأحاديث الصحيحة في ذم السؤال كثيرة جداً، فيجب أن يمرن الولد ولده على الشهامة، والمروءة، وعزة النفس، والابتعاد عن الأمور التي تجعله ذليلاً أمام الناس.

المسالة الخامسة:- التسوية بين الأولاد:

ومن الحقوق التي يجب على الآباء الانتباه لها والعمل بها في العطية والنفقة والكسوة وغير ذلك، لأن ذلك من العدل الذي أمر الله به، وهو من أسباب الألفة بين الأولاد وعدم عقوق الأب، ولا يجوز له أن يفضل بعضهم على بعض لان ذلك من الظلم الذي نهى الله عنه (ع). ولأن تفضيل بعضهم على بعض سبب في بث الحقد بينهم، وفي عقوق بعضهم للأب، فلا يجوز له أن يعين الشيطان على دخوله بين الأولاد للإفساد بينهم.

والدليل على وجوب التسوية بين الأولاد، ما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير (ت)، أن أباه أتى به رسول الله (ع) فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله(ع):(أكل ولدك نحلته مثل هذا)فقال: لا، فقال: فأرجعه.

وفي روايه لمسلم من حديث جابر قال: (فليس يصلح هذا فاني لا اشهد إلا على الحق)وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث النعمان: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). وفي رواية لأبي داود: (لا تشهدني على جور أن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم)[١].

هذه الروايات واضحة في وجوب التسوية بين الأولاد، وللعلماء في ذلك خلاف، جمهورهم على الاستحباب، ولكن الحق أحق أن يتبع وإن خالف الجمهور، فقد سمى الرسول(ع) التسوية بين الأولاد تقوى، وحقاً وعدلاً[٢].

ومضنة الظلم الأخرى التي تلحق بالأبناء، هي ما يحدث بين الأبناء غير الأشقاء، حيث يقع الآباء تحت سيطرة إحدى الزوجات، وبذلك يقدمون أبنائها على أبناء الأخريات في كل شي، مما يشعل الأحقاد بينهم، ويمزق علاقاتهم تمزيقاً لا يرفأ، ويحيلهم إلى أعداء يتربص بعضهم ببعض، وهذا ما نشهده لدى الغالبية العظمى من أسر مجتمعنا المعاصر، لذلك يؤكد الرسول(ع) على العدل بين الأبناء

---

[١] المصدر نفسه ، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الاولاد في الهبة ١٦٢٣.

[٢] المسؤولية في الاسلام صـ٨٨-٨٩ بتصرف.

بأسلوب حازم، بقوله(اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم)إن من يتصور أن تربيته لأبنائه ستحقق أهدافها ومراميها، وهو غرس بينهم التحاسد والتباغض والعداء بتفضيل بعضهم على بعض، قد أخطا التصور، لذا إن من يريد الخير لأبنائه يجب ابتداءً أن يرعى العدل بينهم لهيئ نفسياتهم لتقبل الخير والصلاح، وكل مفرزات التربية الواعية(١).

المسألة السادسة..تنشئتهم على احترام الاخرين

وذلك بتعريفهم على حقوق الاخرين واولها حق الابوين، وحق الاقارب وحق الجار، وحق المعلم، وحق الكبير، وحق الصديق، وحق الطريق، وحق الراعي، وحق غير المسلم، وغير ذلك من الحقوق التي تتعلق بالأخرين، وغير ذلك من المسائل والطرق والاساليب التي تساعد على تربية وتنشئة الابناء، تربية تعود بالنفع لأنفسهم واهلهم ومجتمعهم وامتهم(٢)

---

(٢) النبي المربي، صـ(١٩٧-١٩٨)، بتصرف.

(٣) من كتاب منهاج المؤمن ص٣٨٠، بتصرف

المطلب الثالث
المسؤولية على الأقارب

المؤمنون كلهم مهما اختلفت أنسابهم، وتباعدت أوطانهم، يعتبرون بمنزلة الأشقاء، بل المؤمن البعيد النسب أق وأولى بأخيه الم} من أقرب قريب إليه إذا لم يكن ذلك القريب مؤمنً..ولكن الله تعالى أنعم على عباده بتوثيق رابطة القرابة، حيث جعلهم يتحابون ويعطف بعضهم على بعض، ولقد عنيت نصوص الشريعة من كتاب وسنة، بالأقارب والحث على صلتهم وتقديم في ذلك على سواهم فقد قرن الله تعالى حقهم بحقه، فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١.

يقول السيد قطب رحمه الله (هذا الشوط الأول في السورة يبدأ بآية الافتتاح، التي ترد الناس إلى رب واحد، وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل واحد، أو أسرة واحدة، تجعل وحدة الإنسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الأسرة، وتستجيش في النفس تقوى الرب، ورعاية الرحم..لتقيم على هذا الأصل كل تكاليف التكافل والتراحم في الأسرة الواحدة، ثم في الإنسانية الواحدة، وترد إليه كافة التنظيمات والتشريعات التي تتضمنها السورة.وهذا الشوط يضم من تلك التكاليف ومن هذه التشريعات، ما يتعلق بالضعاف في الأسرة وفي الإنسانية من اليتامى، وتنظم طريقة القيام عليهم وعلى أموالهم، كما تنظم طريقة انتقال الميراث بين أفراد الأسرة الواحدة، وأنصبة الأقرباء المتعدي الطبقات والجهات، في الحالات..)[1] وذم الله سبحانه وتعالى المشركين بعدم مراقبتهم احترام قرابتهم من المؤمنين.فقال﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ التوبة: ١٠.

والآل، القرابة كما فسرها ابن عباس، وفسرت بالعهد أيضاً، وقرن الله تعالى بين الإفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، ولعن من يفعل ذلك.فقال﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ

---

[1] في ظلال القرآن سيد قطب ١/٥٤٩-٦٠٠.

أَبۡصَٰرَهُمۡ (٢٣) ﴾ محمد: ٢٢ – ٢٣، قال ابن كثير رحمه الله:وقوله سبحانه ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ محمد: ٢٢ أي عن الجهاد ونكلتم عنه ان تفسدوا في الأرض ﴿ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ محمد: أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام، ولهذا قال تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ (٢٣) ﴾ محمد: ٢٣.

وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال(١). وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله (ε) من طرق عديدة ووجوه كثيرة.

عن أبي هريرة (τ)، عن النبي (ε) قال (أنهى الله تعالى الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فقالت:هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال تعالى:ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك).قال أبو هريرة (τ): اقرءوا إن شئتم﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾(٢) محمد: ٢٢

ولقد بلغت عناية الإسلام بالأقارب أن أمر المؤمنين بصلتهم ولو كانوا كفاراً، ما لم يتعرضوا لأذاهم. قال تعالى ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الممتحنة: ٨-٩ . وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت:(قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا، فأتيت النبي(ε)فقلت:يا رسول الله أن أمي قدمت وهي راغبة، أفاصلها؟ قال:نعم صلي أمك)(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم للامام عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ت(٧٠٠-٧٧٤هـ)، (١٦٧/٤).

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة ولا ادب باب صلة الرحم رقم ٢٥٥٤.

(٣) المصدر نفسه،كتاب البر والصلة، باب فضل النفقة والصدقة على الاقربين رقم ١٠٣.

الآية الكريمة عامة في الوالدين وغيرهم، وهي محكمة على الصحيح من أقول العلماء، إذا عرفنا ذلك بقى علينا أن نعرف الأمور التي تعتبر صلة للرحم، والأمر التي تعتبر قطيعة لها.

الوسائل التي يصل بها الرجل رحمه:-ووسائل صلة الرحم كثيرة، نشير إلى الوسيلتين التاليتين:-

الوسيلة الأولى:-أن فقراء أقارب الرجل أحق ببره ووقفه وصدقته ووصيته من غيرهم.

ولهذا لما أراد أبو طلحة أن يتصدق ببعض ماله وقفاً، قال له الرسول(ε):(اجعلها لفقراء أقاربك)(١).

وقد رجح كثير من أهل التفسير أن الآية الكريمة: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ⑧ ﴾ النساء: ٨، محكمة وليست منسوخة وان قريب الميت الذي ليس بوارث، إذا حضر القسمة التركة يرضخ له منها تطيباً لخاطره(٢).

ورأى بعضهم أن ذلك واجب لان الأصل في الأمر الوجوب كما هو معروف، وري آخرون انه مندوب، وقد صرف الأمر عن الوجوب هنا، إقرار الرسول(ε)جعل وصية الأنصاري، في ثلث ماله الذي أوصى به كله، وحديث ميمونة رضي الله عنها، صريح في عدم وجوب الوصية للقرابة، فقد روت أنها اعتقدت وليدة، ولم تستأذن النبي (ε)، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول أني أعتقت وليدي قال:أو فعلت، قالت:نعم، قال:أما انك لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك(٣).

الوسيلة الثانية: السعي في جمع كلمة الأقارب وتأليف قلوبهم.

ومن أهم الأمور التي يجب على الرجل أن يصل بها رحمه:

الإصلاح بينهم وتأليف قلوبهم،حتى لا يحصل بينهم نزاع يفرق كلمتهم ويوقع بينهم العداوة والبغضاء والتدابر.والإصلاح وإن كان حقاً على كل عاقل،أن يقوم به بين كل الناس فإن الأقارب أحق به..

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب اذا اوقف او اوصى لاقاربه ومن قارب رقم ٢٧٥٢.

(٢) فتح القدير للشيخ محمد بن علي الشوكاني طبعة ، دار الحديث القاهرة ١- مصر ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها ، رقم ٢٥٩٢.

وقد قال تعالى﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء: ١١٤ وقال تعالى﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾الأنفال: ١،وقال تعالى﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠ وينبغي للرجل أن يترفع بنفسه عن قطع الرحم ولو قطعه أقاربه، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: "أن رجلاً قال:يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي"فقال (ع): (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل_والمل الرماد الحار_ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت عليهم))[1]

والأحاديث في صلة الرحم كثيرة جداً ..وخلاصة:أن من حق ذوي الأرحام على الرجل، أن يسعى قدر استطاعته في تحصيل ما ينفعهم،ودفع ما يضرهم،في دينهم ودنياهم..

المطلب الرابع

المسؤولية على الأيتام

كثير من الأطفل يتوفى الله آبائهم أو أمهاتهم أو الآباء والأمهات معاً ، فيبقى هؤلاء الأطفال في حاجة شديدة إلى من يعطف عليهم، ويرحمهم، ويواسيهم، ويدخل عليهم السرور، بما يسديه إليهم من نفقة أو كسوة أو كلمة طيبة.

كما أنهم في حاجة إلى من يحفظ أموالهم إن كانت لهم أموال، وينميها لهم لتسد منها حاجاتهم في حال الصغر، ويجدوا ثمرتها في حال الكبر، والله تعالى يبتلى بعض عباده ببعض، ليظهر المطيع من العاصي ويجازي كلاً على عمله.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ الفرقان: ٢٠، وقد يبتلي الرجل بيتيم أو أيتام سواء كانوا من قرابته أو من غيرهم، ليعولهم ويقوم بمصالحهم، فان وفق للصبر عليهم والرحمة بهم والقيام بحقوقهم، نال أجراً عظيماً على ذلك، وان لم يوفق فأغلط لهم القول، وآذاهم بالضرب ونحوه لغير

---

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب صلة الرحم وعدم قطيعتها ١١١٤.

تأديب مشروع، وحرمهم من المأكل والمشرب، أو أكل أموالهم ظلماً ، فقد تعرض لخطر عظيم، ولهذا يجب أن ينتبه القائمون على الأيتام لحقوقهم ويبتعدوا عن ظلمهم، ولنذكر بعض الحقوق التي ينبغي العناية باليتيم فيها:

الحق الأول:الرفق بهم وعدم الغلظة التي تدخل عليهم الهم والحزن.

الرفق في الأصل مطلوب في كل وقت ومع كل الناس، ولكنه مع الطفل اليتيم آكد، وقد ذم الله المشركين وجعل من علامتهم الإغلاظ على اليتيم وعدم الرفق به، قال تعالى﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣) ﴾ الماعون: ١ – ٣، كما ذكر من صفاتهم عدم إكرامه قال تعالى ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (١٨) ﴾ الفجر: ١٧ – ١٨، وقال النبي (ε) (ومن يحرم الرفق يحرم الخير)(١).

وروي عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله (ε) قال: (يا عائشة أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) (٢).

وفي روايه: (أن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)(٣). وفي حديث أخر عنها أيضاً قال:سمعت رسول الله (ε) يقول في بيتي هذا: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهن، فأشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به)(٤).وهذه الأحاديث عامة، واليتيم كما قلت أولى الناس بمدلولها.

الحق الثاني :- تعليم اليتيم.

ومن حق اليتيم أن يعنى بتعليمه، والقراءة والكتابة، وعندما يبلغ سن التميز، ومبادئ دينه كالوضوء والصلاة وحسن السلوك، كالصدق والأمانة والشجاعة والكرم، وألا يتلكم ألا بخير، إن استطاع وليه أن يعلمه بنفسه وإلا ادخله مدرسة يؤمن فيها على أخلاقه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ولاداب، باب فضل الرفق رقم ٢٥٩٢.

(٢) المصدر نفسه، كتاب البر والصلة والاداب، باب فضل الرفق رقم ٢٥٩٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والاداب، باب فضل الرفق رقم ٢٥٩٤.

(٤) المصدر نفسه، كتاب الامارة، باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الظالم والرفق بالرعية رقم ٨٢١.

كما ينبغي ان يعلمه بعض الحرف التي يستفيد منها في الإنفاق على نفسه عند الكبر، وإلا يكون عالة على المجتمع، وتعليمه دينه ودنياه من البر والتقوى الذين أمر المؤمنين أن يتعاونوا عليها.

كما قال تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ المائدة: ٢، وتعليمه مما يحبه القائم على شانه لنفسه ولأولاده من الخير وهو من الإيمان الذي إذا فرط فيه، نقص إيمانه، وقد أشار إلى ذلك الرسول(ε) حيث قال:(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)(١).

الحق الثالث:- أن ينفق عليه الوالي من ماله.

لا سميا إذا كان اليتيم لا مال له، لان في ذلك أجراً عظيماً، روى أبو هريرة (τ) عن النبي (ε) قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، واحسبه قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر)(٢)وفيه عن أبي هريرة أيضاً: أن النبي (ε) قال: (كافل اليتيم له أو لغيره، وأنا وهو كهاتين في الجنة) وأشار مالك وهو احد رواة الحديث بالسبابة والوسطى(٣).والمراد بالكافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتربية وغيرها، وقوله(ε)(له أو لغيره)أي سواء كان اليتيم له به صلة، كابن أخيه ونحوه، وليس من قرابته.

الحق الرابع:أن يحفظ ماله إذا وليه وله مال.

وينميهولا يفرط فيه،حتى لا يضيع ولا يأخذ منه شيئاً ظلماً،فقد جاءت النصوص بالوعيد الشديد لمن يأكل مال اليتيم بغير حق.قال تعالى﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠ ﴾ النساء: ٩ – ١٠

ففي الآية الأولى إشارة إلى ان ولي اليتيم يجب أن يعمل له كما يحب أن يعمل ولي أطفاله لهم من بعده، فليتق الله في مباشرة ماله، كما يحب هو أن يتقى ولي ولده بعد وفاته في مباشرة ماله.

---

[١] المصدر نفسه، كتاب الايمان، باب الدليل على ان من خصال الايمان ان يحب لاخيه المسلم رقم ٤٥.

[٢] المصدر نفسه، كتاب الزهد والرقائق، باب الاحسان الى الارملة والمسكين رقم ٢٩٨٢.

[٣] المصدر نفسه، كتاب الزهد والرقائق، باب الاحسان الى الارملة والمسكين رقم ٢٩٨٣.

والآية الثانية من الوعيد لمن أكل مال اليتيم ظلماً، مالا يحتاج إلى بيان فليتق الله أولياء الأيتام في أموالهم ومصالحهم، فإنهم إن لم يخشوا من محاسبة الأيتام لهم لعدم معرفتهم مصالحهم ومضارهم، فالله وكيلهم وكفى بالله حسيباً.

ويستثنى من هذا الوعيد من ولي مال اليتيم وقام بالواجب له حفظ وتنمية، والوالي فقير لا مال له، فانه يجوز له أن يأخذ من مال اليتيم ما يحتاج إليه قوتاً بالمعروف.قال تعالى ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦، وففي الصحيحين من حديث عائشة أن هذه الآية الآنفة الذكر نزلت في ولي اليتيم، إذا كان فقيراً أن له أن يأكل مكان قيامه عليه بالمعروف[1].ويجب أن لا يمكن اليتيم من التصرف في ماله، إلا بعد رشده وبعد اختباره في التصرف أيحسنه أم لا؟

قال تعالى ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾النساء: ٦، ويجب أن يشهد على دفع أموله إليه، حتى لا يحصل بينه وبينه نزاع وخصومة قال تعالى ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب التفسير ٣٠١٩.

الحق الخامس:- إعطاء اليتيمة حقها وعدم ظلمها.

إذا رغب في زواجها، فإذا ولي الرجل يتيمة ورغب في نكاحها، فيجب أن يعطيها مهرها كاملاً كأمثالها، ولا يجوز له أن يأخذ من مالها شيئاً .فان أحس من نفسه إنه سيظلمها بنقص مهرها أو غير ذلك من حقوقها، أو لم تكن له رغبة في الأصل، وإنما أرادها لما لها فقط.فينبغي أن يتركها، وينكح غيرها من النساء الأتي لا يقدر على اخذ حقوقهن أو نقص مهرهن.

فقد جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: (أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ النساء:٣)(١).

المبحث الثالث
المسؤولية الاجتماعية في الإسلام
المطلب الاول
مسؤولية الزوج

انعم الله تعالى على الزوجين فجعل بينهما مودة وهي المحبة، ورحمة وهي شفقة احدهما على الاخر ورافته به.قال تعالى ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الروم: ٢١، وتحقيقاً لتلك المودة والرحمة وسكون أحد الزوجين الى الاخر، جعل الله لكل منهما حقوقاً على قرينه، اذا قام بها كل منهما التأم شملهما، وتحققت لهما العشرة الطيبة من كلا الجانبين.

ولما كان المقام في هذا الفصل مقام بيان مسؤولية الرجل، ناسب ذكر حقوق المراة على الزوج، فلنذكر ما تيسر منها باختصار في المسائل الاتية:-

المسالة الاولى:العشرة الحسنة

من حقوق الزوجة على زوجها، العشرة الحسنة واللطف واللين معها، وعدم اغلاظ لقول لها، والصبر على ما قد يبدر منها مما لا ينبغي من انكار انعمة

---

(١) كتاب المسؤولية في الإسلام ص١١٨

الزوج او سوء معاملته في بعض الاحيان.كما ينبغي للزوج عندما يرى منها مالا يرضاه ، مما لا يمس الشرف والعرض أن يذكر الى جانب ذلك صفات اخرى تعجبه منها، ويجعل الاخلاق الحسنة بمنزلة الماء، والماء يطفئ النار، وقد اوصى الرسول (ع) أبا هريرة (ت) فقال: (إن المراة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعن بها على عوج) [1].

وفي لفظ(استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء).

وفي حديث ابي هريرة أيضاً: أن رسول الله (ع) قال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[2].

المسالة الثانية:-النفقة والكسوة.

ومن الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها، الانفاق عليها وكسوتها على قدر حاله من غنى وفقر وما بينهما، ولا يكلف ما لا يطيق لان الله تعالى لا يكلف نفساً الى وسعها، ونفقتها مقدمة على نفقة غيرها.

فعن ابي هريرة (ت) قال: قال رسول الله (ع): (دينار انفقته في سبيل الله، ودينار انفقه في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار انفقته على اهلك، اعظمها أجراً الذي انفقته على اهلك)[3].

وري جابر (ت) ان النبي (ع) قال لرجل: (ابدا بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن اهلك شيء فلذي قرابتك، فان فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا)[4].

خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف:-

واذا لم يعط الزوج زوجته ما يكفيها ويكفي اولادها من النفقة والكسوة، وقدرت على اخذ شيء من ماله، فلها ان تاخذ ما يكفيها ويكفي اولادها دون اسراف ولا تقتير بدون اذنه، فعن عائشة رضي الله عنها:(أن هنداً قالت:يا رسول الله، ان ابا

---

[1] صحيح مسلم ، كتاب الرضاع، باب الوصية للنساء ١٤٦٨

[2] المصدر نفسه،كتاب الرضاع، باب الوصية للنساء ١٤٦٩

[3] صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والملوك ٩٩٥

[4] المصدر نفسه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والملوك ٩٩٧

سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي الا ما اخذت منه وهو لايعلم، فقال:خذي ما يكفيك ويكفي بنيك)(١).

فان اعسر الزوج اعسارا تتعذر معه النفقة واختارت الزوجة فراقه لعدم صبرها عليه فقد ذهب المالكية والشافعية والحنابلة الى أنه يفرق بينهما اذا طلبت ذلك، وذهب الحنفية الى عدم التفريق، وهو مذهب ابن حزم.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي (ε) انه قال: (دخلت امراة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تاكل من خشاش الارض)(٢). ومعلوم ان حرمه الادمي اعظم من حرمة الحيوان، وقد ورد في السنة ما يدل على ذلك(٣).

المطلب الثاني

مسؤولية الزوجة

المسألة الاولى.. قرار المرأة في البيت هو الاصل:

بعد ان حمل الرسول ρρ ذكور الامة الاسلامية مسؤوليتهم، شرع في بيان مسؤولية نساء تلك الامة. ويلحظ من الحديث انه لم يعين مكاناً لمسؤوليات الأصناف المذكورة فيه، إلا المرأة فقد عين مكانها حيث قال: ((راعية في بيت زوجها)) (٤) . ففي الحديث إشارة الى ماتقرره نصوص الشريعة من ان الاصل في حق المرأة القرار في البيت، والخروج منه خلاف ذلك الاصل، يباح عند الحاجة بقدرها، فإذا انتهت الحاجة رجعت إلى ماهو اصل في حقها وهو القرار في البيت. وقد امر الله تعالى نساء النبي ρ بالقرار في بيوتهن، وجعل ذلك وسيلة من وسائل تطهيرهن من الذنوب والمعاصي.. والاصل في الاحكام المتعلقة بالنساء ان يستوي فيها كل امرأة، من غير فرق بين نساء الرسولρρ وغيرهن من نساء المؤمنين، إلا اذا دل دليل خاص على اختصاصهن بحكم معين..مثل كونهن امهات المؤمنين..

---

(١) المصدر نفسه، كتاب الاقضية، باب قضية هند ١٧١٤

(٢) المصدر نفسه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة من الحيوان ونحوها ٢٦١٩

(٣) نبيل الاوطار للإمام محمد بن علي الشوكاني تحقيق الدكتور وهبه الزحيلي، دار ابن الهيثم ، القاهرة- مصر ٧٤٦/٦-٧٤٩

(٤) حلية الأولياء (٥٧/٤).

وايضاً فإن الطهر والعفة والمغفرة مطلوبة لكل النساء، وقد جعل الله قرارهن في البيوت من وسائل الطهر..

وايضاً فقد نهاهن الله سبحانه وتعالى عن التلبس بصفات نساء الجاهلية الاولى، كالتبرج وهو امر لايختص بنساء النبيρ ، بل كل المسلمين منهيون عن اتصافهم بصفات الجاهلية. قال تعالى: (﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣ واتبع ذلك بما لايختلف فيه اثنان، انه ليس من خصائصهن، وهو الامر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

ولا ينافي ذلك قوله في اول الاية : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ **الأحزاب،** لانه بيان لمكانهن من الرسول ρ، ولهذا يضاعف لهن ثواب الطاعة وعقاب المعصية. وقد دلت نصوص السنة التي توضح القرآن وتبينه على ماذكر، من ان الاصل في حق المرأة في القرار في البيت حيث حظر عليها الخروج إلا بإذن. وبين ان صلاتها في بيتها افضل من صلاتها في المسجد، مع ان الجماعة في حق الرجال تضاعف الى سبع وعشرين درجة.

والمقصود من ذلك كله، صيانتها والمحافظة على عفتها وكرامتها وقيامها بواجبها الثقيل في بيتها، من حقوق زوجا واولادها، وواجبها الذي لايشاركها فيه الرجل غالباً. والاسلام حينما جعل بيت المرأة مثابة لها، نظر الى واقعها والى النتائج التي تترتب على لزوم بيتها، وحينما حظر عليها الخروج من البيت لغير حاجة نظر الى كذلك الى واقعها، والى النتائج المترتبة على خروجها.. فقرر الحكم ايجاباً او سلباً على الواقع ونتائجه، لأن الله تعالى هو الذي قرر هذه الاحكام ودعا اليها، وهو يعلم ماهو نافع وماهو ضار، بخلاف غيره من المخلوقين، فانهم يقررون الامور حسب مايظهر لهم من المصالح والمضار المترتبة على ذلك، ان كاكن قصدهم جلب المصالح ودفع المضار. وقد يظهر لهم بعد فترة من الزمن ان ملرأوه قبل نافعاً هو ضار، وما رأوه ضاراً هو نافع، وقد يقررون الامور تباعاً لشهواتهم وميولهم، بصرف النظر عن كون ذلك نافعاً للمجتمع او ضاراً، كما هو الواقع في كثير من البلدان.

الاسباب المقتضية بقاء المرأة في بيتها:

والاسباب التي تقضي بقاء المرأة في البيت وعدم مغادرته لغير حاجة جوهرية كثيرة ..

السبب الاول.. المحافظة على عفتها وكرامتها:

انه من اعظم وسائل حفظها عن الوقوع في الرذيلة لزوم بيتها، كما ان من اكبر اسباب تهتكها وتعرضها للفتنة وفتنة غيرها كثرة الخروج من البيت.. ولهذا جعل الله قرار نساء النبيρ من اسباب تطهيرهن، والمرأة التي تكثر الخروج تتسبب في طمع الفسقة فيها، لاسيما اذا علموا ان خروجها لغير حاجة.

السبب الثاني.. القيام بواجباتها المنوطة بالبيت: من تنظيف له وللثياب، وتنظيم للاثاث، وطبخ الطعام، وتربية للاطفال، وهذه الاخيرة هي اهم الوظائف التي تقوم به المرأة.

السبب الثالث.. اخذ راحتها بعض الوقت:

لما في ذلك من تهيؤها لاستقبال زوجها وتجملها له، واعداد نفسها اعداداً يدخل على زوجها الراحة والطمأنينة بما يجد من ميل لها ورغبة في اجتماعه بها في اوقات فراغه، لان الرجل يتعب خارج البيت في الاعمال المنوطة به، ليحصل على المال الذي ينفقه على اهله من مأكل وملبس ومسكن، وغير ذلك من الحاجات. فينبغي ان تستقبله المرأة في بيتها بما يريحه ويدخل عليه السرور، ولايتأتى لها ذلك اذا لم تستقر في البيت، بل تذهب للعمل خارجه، لانها سترجع الى البيت من عملها عندما يرجع زوجها، وستكون متعبة مثله في حاجة الى الراحة، وليست مستعدة للقيام بحقه كما لو كانت باقية في البيت. وربما رجعت قبل رجوعه فأخذها النوم، فيأتي الرجل وهيه نائمة، وربما سبقها الى البيت فتأتي وهو نائم، ويقوم من نومه في وقت عمله فيذهب قبل ان تستيقظ هي.. وهكذا لا يذوق كل منهما من الاخر طعم الزوجية(١)

المسألة الثانية.. قيامها بحقوق الزوج:

ان على المرأة واجبات عظيمة، اذا قامت بها اسهمت في بناء البيت والاسرة والمجتمع، عليها واجبات لزوجها، وواجبات تتعلق ببيتها واخرى تتعلق بأولادها.. وعلى الزوجة حقوق كثيرة، ينبغي ان تراعيها، كم يراعي هو حقوقها كما سبق، ولنذكر بعض تلك الحقوق باختصار في الامور الاتية:

---

(١) كتاب المسؤولية١٣٨-١٤١ في الاسلام بتصرف.

الامر الاول.. طاعته في غير معصية:

من الامور التي تقوي العلاقة بين الزوجين ولذلك حرص عليها حرصاً شديداً وربطها بشرط ان لا تكون في معصية الله، فقد ثبت في حديث معاذ عن النبي ρ انه قال : (لو كنت امر احداً ان يسجد لأحد، لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها) (١)

الامر الثاني.. اجابته اذا طلبها الى الفراش :

ومن اوجب الامور على الزوجة ان تجيب زوجها اذا طلبها الى الفراش، وعصيانه في ذلك من اكبر المعاصي.. لما روي ابو هريرة τ : قال رسول الله ρ (اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه، فأبت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح) (٢)

الامر الثالث.. عدم اذنها في بيته لأحد لا يرضى دخوله.

الامر الرابع.. عمد صومها تطوعاً ، وهو حاضر إلا بإذنه.

وقد دل على هاتين المسألتين ، حديث ابي هريرة τ : ان النبيρ: (لا يحل للمرأة ان تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، وتأذن في بيته إلا بإذنه)(٣)

الامر الخامس.. الاعتراف بنعمته وعدم جحودها :

ومن حق الزوج على الزوجة ان تعترف بنعمته، ولا تجحدها عند الغضب فان ذلك من أسباب دخولها النار لحديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول اللهρ قال (ورأيت النار :ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا: لما يارسول الله ؟ قال : يكفرن العشير، ويكفرن الاحسان اذا أحسنت إلى احدهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت ما رأيت منك خيراً قط)) (٤)

الامر السادس..حفظ ماله وعدم التفريط فيه:

من حقوق الزوج على زوجته ان تحفظ ماله، ولاتفرط فيه حتى يضيع سواء كان نقوداً او طعاماً او ملابس او اثاث او غير ذلك ..

ولا يجوز لها ان تبذر اذا انفقت منه، لانه قد ائتمنها على ذلك، وتبذيرها خيانة، والخيانة من صفات المنافقين.. وقد اثنى النبيρ نساء قريش بصفات،

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ماجاء في حق الزوج على المرأة، ١١٥٩ نقلا عن كتاب نيل الاوطار صـ٦١٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها رقم١٤٣٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لاتأذن المرأة في بيت زوجها لاحد الا باذنه رقم ٥١٩٥).

(٤) المصدر نفسه، كتاب النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج رقم٥١٧٩.

منها حفظ ذات يد الزوج وذات اليد هي المال.. كما في حديث ابي هريرة τ: ان رسول الله ρ قال: (خير نساء ركب الابل نساء قريش). وقال الاخر: (صالح نساء قريش، احناه على ولد في صغره، وارعاه على زوج في ذات يد) (١).

الامر السابع.. اعانة زوجها فى تربية اولادها من غيرها:

وينبغي ان تعين الزوجة زوجها في تربية اولاده من غيرها، واخوانه الصغار تخفيفاً عنه وتسهيلاً لمهمته التي تقتضي منه العمل خارج البيت..

كما في حديث جابر، قال: "هلك ابي وترك سبع بنات او تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله ρ: (تزوجت ياجابر؟) فقلت نعم فقال: (بكراً ام ثيباً؟) قلت بل ثيباً قال): فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ وتضاحكها وتضاحكك؟) قال: فقلت له: ان عبد الله هلك وترك بنات، واني كرهت ان أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: (بارك الله) او (خيراً)(٢)

الامر الثامن.. مواساة الزوج والعمل على ادخال السرور عليه:

وينبغي للزوجة ان تواسي زوجها ، وتتخذ الاسباب التي تدخل عليه السرور، وتزيل عنه الغم والهم، وتهدئه عندما يصاب بما يخشى منه على نفسه، بالاساليب المناسبة. كما فعلت خديجة رضي الله عنها، مع رسول الله ρ، عندما رجع خائفاً اول ما اوحي اليه وقال: (لقد خشيت على نفسي).. فقالت له: (كلا والله لايخزيك الله ابداً، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)(٣).

الامر التاسع.. معاشرة زوجها معاشرة حسنة:

ويجب على المرأة ان تعاشر زوجها حسنة، فتبتسم في وجهه حينما ترى ان الابتسامة مناسبة، ووتجمل له وتظهر بالمظهر الذي يعجبه..

وتكسر المرأة ورقة صوتها واظهار محاسنها لزوجها، واتخاذ الاسباب والدواعي التي تجذبه اليها وترغبه في ملاعبتها ومضاحكتها وغير ذلك، امر مطلوب..

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب حفظ المرأة زوجها في ذات يده والنفقة رقم ٥٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه، كتاب النفقات ، باب عون المرأة زوجها في ولده رقم ٥٣٧١.

(٣) المصدر نفسه، كتاب الوحي رقم ٣

ولا ينبغي ان تظهر امامه بمظهر غير لائق، كأن تلبس ملابس سيئة المنظر او تقترب منه، وبها روائح غير مناسبة، فان ذلك يحدث بينها مالاتحمد عقباه.

ولاسيما اذا داومت على تلك الحالة التي تعلم انه يكرهها، وكثير من النساء لاتعتني بمظهرها امام زوجها لا في ملبسها، ولا في نظافتها، ولا في اظهار انثوتها..

الامر العاشر.. مراعاة احواله في الفرح والحزن:

وينبغي للمرأة ان تتجاوب مع زوجها فتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، فان ذلك من حقه عليها، لان مثل المؤمن كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولأن الزوج اولى بمراعاة احوال زوجه..

وفي شعور الزوج بان زوجته تتعاون معه، يسرها ما يسره من ير، ويحزنها ما يحزنه من شر، يقوي رابطتهما، ويزيد بينهما المحبة والسكينة. وينبغي ان تظهر امامه بمظهر السرور والفرح اذا كان حزيناً، كما ينبغي ان تكظم حزنها اذا رأته مسروراً، فان ذلك ادعى الى الالفة ودوامهما بين الزوجين ولها مثل ذلك.

المسئله الثالثة:- وصية غالية ينبغي ان تحرص عليها الزوجة:

وفي هذا المقام احب ان انقل وصية جامعة لبعض الخصال الجميلة التي ينبغي ان تتصف بها المرأة مع زوجها، لامرأة جاهلية هي أمامه بنت الحارث، زوجة عوف بن محكم الشيباني، وهذه الوصية اوصت بها ابنة لها، تزوجت الحارث بن عمر ملك كندة..

وفيها تقول: (أي بنية انك فارقت الحواء الذي منه خرجت.. والوكر الذي منه درجت.. الى وكر لم تعرفيه.. وقرين لم تألفيه.. فاصبح بملكه عليك ملكاً.. فكوني له امة يكن لك عبداً..

واحفظي عني خلالاً عشراً، تكن لك دركاً وذكراً.. فاما الاولى والثانية: فالمعاشرة له بالقناعة.. وحسن السمع له والطاعة.. فان في القناعة راحة القلب.. وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.واما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح.. ولايشم انفه منك الا طيب ريح.. واعلمي أي بنية ان الماء اطيب الطيب المفقود.. وان الكحل احسن الحسن الموجود..

واما الخامسة والسادسة: فالتعهد لوقته اطعامه.. والهدوء عند منامه..

فان حرارة الجوع ملهبة.. وتنغيص النوم مغضبه..

واما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله.. والرعاية على حشمه وعياله..

فان الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير.. والرعاية على الحشم من حسن التدبير..

واما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً.. ولا تعصي له امراً..

فان افشيت سره لم تأمني غدره.. وان عصيت امره اوغرت صدره..

واتقي الفرح لديه اذا كان ترحاً.. والاكتئاب عنده اذا كان فرحاً..

فان الاولى من التقصير .. والثانية من التكدير..

واعلمي انك لن تصلي الى ذلك منه، حتى تؤثري هواه على هواك..ورضاه على رضاك.. فيما احببت وكرهت، والله يخير لك ويصنع لك برحمته [١]

---

(١) الوصايا الخالدة لعبد البديع صقر ومصطفى جبر ص: (١١٣-١١٥)، نقلاً من كتاب المسؤولية في الاسلام صـ١٥٨-١٦٠

الخاتمة

هانحن نحط الرحال بعدما تجولنا في العديد من المحطات التي تمكنت قدر الاستطاعة في هذا البحث ان اقف عندها، وابينها قدر الاستطاعة، ومن خلال تلك المحطات التي توقفت فيها في هذا البحث، تبين لي:

اولاً : ان كل فرد من افراد المسلمين مكلف من الله عز وجل القيام بمسؤولياته، وانه لا نجاح للمسلمين افراداً وجماعات، الا اذا قام كل منهم بمسؤوليته..

ثانيا: ان ماتعانيه الامة الاسلامية من الشقاء والذل والتبعية لاعداء الاسلام في كل شيء.. كما قال الرسول ρ :(حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه..) يتضح ان كل ذلك سببه تفريط المسلمين في القيام بمسؤولياتهم على اختلافها، فليتق الله كل مسلم، وليقم بواجبه وليكون لبنة صالحة في بناء الامة..

ثالثاً: إن الأمة مكونة من أفراد، وكلما كان الأفراد أكثر قياماً وقوة وهيبة في قلوب أعدائها.. وهكذا كان المسلمون في القرون الاولى. وكلما كان الافراد اكثر تفريطاً في مسؤولياتهم، كانت الامة اكثر تفككاً وضعفاً وذلاً.. كما هو حال المسلمين الان..

رابعاً: ان المسؤولية توجه نشاط الانسان وتجعله ذا موقف واودة وتقرير للمصير، أي ان الانسان المسؤول يتحول بتحمله لا عباء المسؤولية الى انسان هادف لا ينطلق ولا يتحرك الا نحو هدف مرصود.

خامساً : ان المسؤولية الاسلامية لا هوية جغرافية لها، فمساحتها العالم كله، صحيح ان الاقربين اولى بالمعروف لكننا مسئولون عن الاصلاح في الارض كلها، ولو اقتصرت المسؤولية على حدود الوطن والامة لما شهدنا انتشار الاسلام في بقاع الارض وارجاء الدنيا.

سادساً: ان النماذج الايجابية الناهضة بمسؤولياتها على ما يرام تعمل كأدوات محرضة او محفزة على الاحتذاء والتأسي من قبل المتقاعسين او المتنصلين او المتساقطين او المتخففين من اعبائها.. فما دام بوسع هذا الشخص القيام بهذه المسؤولية او تلك فان بإمكاني النهوض بها انا الاخر.

قائمة المراجع

- ❖ **القرآن الكريم**

كتب التفسير

١- الجامع لأحكام القرآن: للأمام ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري القرطبي ت(٦٧١هـ)، طبعة دار الفكر بيروت-لبنان ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

٢- تفسير القرآن العظيم للأمام عماد الدين ابي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ت (٧٠٠٨٧٤).

٣- فتح القدير للشيخ محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث القاهرة(١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

٤- في ظلال القرآن لسيد قطب ابراهيم حسين شاذلي، ولد سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وتوفي في ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، دار العلم للطباعة والنشر- جدة الطبعة الثانية عشرة.

❖ كتب السنة :

١. الترغيب والترهيب، دار ابن رجب الطبعة الاولى المنصورة -مصر.

٢. الموطأ للإمام مالك بن انس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

٣. سنن الترمذي، طبعة دار الإعلام الأردن الطبعة الاولى(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

٤. صحيح البخاري: للإمام الحافظ محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزيه البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ، ط:دار ابن حزم الطبعة الاولى(١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٥. صحيح مسلم: للإمام الكبير المجود الحافظ ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن القشيري النيسابوري، ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي ٢٦١هـ، طبعة دار ابن حزم، بيروت-لبنان.

❖ كتب السير والتراجم:

١. اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ/ محمد الخضري بك، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة -مصر.

٢. البداية والنهاية لابن كثير، مطبعة دار الفكر العربي.

٣. الانشراح ورفع الضيق بسيرة ابي بكر الصديق شخصيته وعصره للدكتور /علي محمد الصلابي، دار الايمان الاسكندرية مصر.

٤.تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، ت٩٢١هـدار الفجر للتراث الازهر الطبعة الثانية القاهرة مصر.

٥.سيرة ابن هشام تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٧هـ.

٦.شخصيات لها تاريخ للدكتور/محمد عمارة، مكتبة دار السلام، الطبعة الاولى(٢٠٠٤م-٢٠٠٥م)، القاهرة ، مصر).

❖ كتب اللغة:

١. لسان العرب، محمد بن علي بن احمد الانصاري، ابن منظور، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثالثة(بيروت-لبنان، ١٤٦هـ-١٩٨٦م).

❖ كتب عامة:

١.الحرية والطوفان للدكتور/حاكم المطيري، العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

٢.الخلافة والملك، للشيخ ابو الاعلى المود ودي، ت(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) دار القلم الكويت الطبعة الاولى.

٣.الرائد: لابن مسعود، نسخة الكترونية.

٤.السياسة الشرعية لشيخ الاسلام ابن تيمية، دار الكتب العربية (بيروت-لبنان، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م).

٥.المسؤولية في الاسلام، نسخة الكترونية.

٦.النبي المربي للدكتور احمد رجب الاسمر، ط:دار الفرقان للنشر والتوزيع، العبدلي عمارة جوهرة، القدس-عمان الاردن الطبعة الاولى.

٧.الوصايا الخالدة لعبد البديع صقر ومصطفى جبر.

٨.تأملات في الدين والحياة لشيخ محمد الغزالي، دار الدعوة للطبع والنشر الطبعة السادسة الاسكندرية، مصر.

٩.حقوق الانسان، للشيخ محمد الغزالين دار الدعوة الطبعة الخامسة (الاسكندرية-مصر).

١٠. فقه النصر والتمكين، للدكتور / علي محمد الصلابي، دار الايمان للطبع والنشر الاسكندرية.

١١. مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالي، دار القلم بدمشق الطبعة السادسة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.

١٢. منهاج المؤمن للدكتور مصطفى مراد، دار الفجر للتراث، الطبعة الثانية.

١٣. نيل الاوطار للإمام محمد بن علي الشوكاني تحقيق الدكتور وهبه الزحيلي، دار ابن الهيثم، القاهرة مصر.

١٤. شبكة الانترنت العالمية.